# جهود القديس بونيفاس
# في نشر المسيحية
# بين القبائل الألمانية من ٧١٦-٧٥٥م


إعداد

**أ.م.د / وفاء مختار غزالي علي**

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

كلية الدراسات الإنسانية بالقاهرة

جامعة الأزهر

# جهود القديس بونيفاس في نشر المسيحية بين القبائل الألمانية من ٧١٦- ٧٥٥م

**وفاء مختار غزالي علي**

قسم التاريخ ، كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، مصر .

البريد الإلكتروني : wafaaghazaly.56@azhar.edu.eg

**الملخص :**

تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على جهود القديس بونيفاس في نشر المسيحية بين القبائل الألمانية والتي جعلته أحد مؤسسي المسيحية في أوربا خلال القرن الثامن الميلادي، وتركت أثرًا واضحة على الدين والحضارة الأوربية، وقد بدأ بونيفاس جهوده التنصيرية بين قبائل الفريزيان في عام ٧١٦م، لكنه لم يتمكن من العمل بسبب الحرب بينهم وبين مملكة الفرنجة، مما جعله يشعر بالإحباط والفشل ويدرك أن نجاح مهمته التنصيرية يجب أن يعتمد على دعم وحماية السلطتين الدينية والسياسية، لذلك حصل على دعم البابوية في روما ورؤساء البلاط في مملكة الفرنجة، بالإضافة إلى الكنيسة الأنجلو ساكسونية، التي قامت بتسخير مواردها البشرية والمادية وأرسلت رجالها للعمل بين الشعوب الألمانية الوثنية، بدأ بونيفاس عمله بين القبائل الألمانية في فريزيا وامتد شرق نهر الراين في بافاريا وثورونجيا وهيسيا وفي منطقة الحدود الساكسونية، فأحرز نجاحًا كبيرًا تمثل في تحويل عدد كبير من الوثنيين للمسيحية وتحطيم أضرحتهم، وتأسيس كثير من الكنائس والأديرة على طول الحدود المسيحية، لتكون مراكزًا للعبادة والتعليم ويجد فيها المنصرون الراحة والمأوى والحماية ضد اعتداءات الوثنيين. لاقت إنجازات

بونيفاس ترحيبًا كبيرًا من البابوية؛ وكان بونيفاس مخلصًا ويظهر ولاءًا تاماً للكنيسة الرومانية فتم تعيّنه أسقفًا عام ٧٢٢م ورئيس أساقفة عام ٧٣٢م ومندوبًا بابويًا عام ٧٣٨م، وتم تكليفه باصلاح كنيسة الفرنجة من المفاسد الدينية والأخلاقية، وتنظيم المؤسسة الإكليروسية الألمانية، لذلك عقد المجامع الدينية لاتخاذ قرارات حاسمة. كانت تقوية العلاقات بين البابوية ورؤساء البلاط الكارولنجيين من أهم نتائج أعمال بونيفاس، والتي توجت باعتلائهم عرش ملوك الفرنجة عام ٧٥١م. قرر بونيفاس في أواخر حياته أن يتخلى عن منصبه كرئيس أساقفة مينز ويعود للعمل كمنصر بين الفريزيان الذين لايزال عدد كبير منهم على الوثنية، فقتل على أيديهم عام ٧٥٥م، وبذلك انتهت حياته واعتبره المسيحيون قديسًا وشهيدًا.

**الكلمات المفتاحية** : القديس بونيفاس ـ حواري ألمانيا ـ رئيس أساقفة مينز ـ البعثات التنصيرية في القرن الثامن الميلادي ــ دير فولدا ــ التحالف بين البابوية والكارولنجيين ـ تنصير الفريزيان ـ تحطيم بلوط جيسمار.

# St Boniface's efforts to spread Christianity among the German tribes from 716 to 755 AD.

**Wafaa Mokhtar Ghazaly Ali**

Department of History, Faculty of Humanistic Studies, Al Azhar University, Cairo, Egypt.

Email: wafaaghazaly.56@azhar.edu.eg

**Abstract**:

The study aims to shed light on the efforts of Saint Boniface in spreading Christianity among the German tribes, which made him one of the founders of Christianity in Europe during the eighth century AD, and left clear trace on European religion and civilization, Boniface has began his missionary efforts among the Friesian tribes in 716 AD, but he was unable to work because of the war between them and the Frankish kingdom, which made him feel frustrated and failed, and realizes the success of his missionary mission must depend on the support and protection of the religious and political authorities, so he obtained the support of the papacy in Rome and The mayors of the palace the Kingdom of the Franks, in addition to the Anglo-Saxon Church, Which made use of its human and material resources and sent its men to work among the pagan German peoples, and Boniface began his work among the German tribes in Frisia and extended east of the Rhine in Bavaria, Thuringia, and Hessia and in the Saxon border region, and he achieved great success represented in converting a large number of pagans to Christianity, smashing their shrines, and establishing many of the churches and monasteries along the Christian borders, to be centers of worship and education, and where Christians would find comfort, shelter and protection against assaults of the pagans. the achievements of Boniface were greatly welcomed by the papacy, and Boniface was sincere and showed full loyalty to the Roman Church, so he was appointed a bishop in 722 AD., an archbishop in 732 AD., and a papal delegate in 738 AD.,

and he was charged with reforming the Frankish Church from the religious and moral corruption, and organizing the German ecclesiastical institution, So he held religious councils, to take Strict decisions . One of the most important results of Boniface's work was the strengthening of relations between the papacy and the Carolingian mayors of palace, which led their accession to the throne of the Kings of the Franks in 751 AD. Boniface decided at the end of his life retire his position as Archbishop of Mainz and return to work As a missionary among the Frisians, who Many of them are still pagan, and he was killed at their hands in 755 AD, and thus his life ended, and Christians considered him a saint and martyr.

**Key Words**: Saint Boniface - German Apostle - Archbishop of Mainz- Missionary and missions in the eighth century AD - Monastery of Fulda - Alliance between the Papacy and the Carolingians - Christianization of the Frisians - Destruction Oak of Gismar .

بسم الله الرحمن الرحيم

**مقدمة :**

اشتهر بونيفاسBoniface الأنجلو ساكسوني بأنه حواري ألمانيا والمصلح لكنيسة الفرنجة والمحرك الرئيسي للتحالف بين البابوية والأسرة الكارولنجية الفرنجية الذي انتهى بإعتلائها عرش ملوك الفرنجة .

ترك بونيفاس إنجلترا مسقط رأسه لأول مرة للعمل كمنصر بين القبائل الألمانية في عام ٧١٦م وللمرة الثانية في عام ٧١٨م ولم يعد لها مرة أخرى، وقضى بقية حياته في منفى تطوعي اختاره لنفسه من أجل تنصير القبائل الألمانية الوثنية، وقد عيّنه البابا أسقفًا عام ٧٢٢م، ورئيسًا لأساقفة ألمانيا عام ٧٣٢م ، ومفوضًا بابويًا عام ٧٣٨م، فتطور عمله من منصر للوثنيين إلى مصلح للعقيدة المسيحية، ومنظم للمؤسسة الإكليروسية الألمانية، بدأ بونيفاس عمله بين القبائل الألمانية في فريزيا وامتد إلى شرق نهر الراين في بافاريا وثورونجيا وهيسيا وفي منطقة الحدود الساكسونية فأحرز نجاحًا ملموسًا في تحويل ألمانيا من الوثنية إلى المسيحية وأنجز إنجازًا ضخمًا إذ أنه حول منطقة جديدة بأكملها إلى الحضارة المسيحية اللاتينية، كما قام بإصلاح كنيسة الفرنجة من الفساد الذي استشرى بين رجال الدين فيها، حتى إنتهى إلى تنظيم الكنيسة الألمانية التي لفتت الأنظار إليها في القرون اللاحقة، وقد أنجز بونيفاس ذلك عن طريق البعثات التنصيرية إلى الشعوب الألمانية الوثنية، وبناء الأديرة والكنائس، وتنظيم الأبروشيات، والتصدي للانتهاكات الدينية وعقد

المجامع الكنسية، وتقوية السلطة الرومانية، ولكي يحقق ذلك نجح في الحصول على التأييد والدعم الديني والسياسي المتمثل في البابوية ومملكة الفرنجة بالإضافة إلى الاستعانة بالكنيسة الأنجلوساكسونية التي ينتمي إليها؛ التي قامت بتسخير جهودها ومواردها البشرية والمادية وأرسلت رجالها إلى الشعوب الألمانية الوثنية؛ لتخليصهم من ضلال الوثنية ودمجهم في الحضارة المسيحية، تلك الشعوب التي اعتبرها الأنجلو ساكسون من بني جلدتهم ، وينحدرون معهم من أصل واحد .

عانى بونيفاس الكثير من الإخفاقات في مراحل عمله المختلفة، فلم تكن مهمة تحويل الوثنيين إلى المسيحية بالمهمة السهلة، فقد قاوموا التنصير وقاموا بالثورة وأحرقوا الكنائس وقتلوا المنصرين الذين كانوا يعيشون دائمًا على حافة الخطر، كما أنه وجد نفس الصعوبات مع المسيحيين الذين انحرفوا عن الطريق القويم وسلكوا مسلك الفساد الأخلاقي والديني، وبالرغم من ذلك إلا أن بونيفاس استمر لأخر لحظة في حياته في العمل في مهمته التي نذر حياته لها ليحقق مشروعه وهو نشر المسيحية بين الشعوب الألمانية، حتى لقى حتفه وقتل على يد الفريزيان الوثنيين أثناء بعثته التنصيرية الثالثة بينهم عام ٧٥٥م، وهكذا جذب بونيفاس انتباه وتبجيل المسيحيين الذين رأوا فيه النموذج المثالي للقديس الذي جعل أعماله الدنيوية وسيلة للحصول على الجائزة الأخروية.

من هنا وعلى ضوء ما سبق تتضح أهمية الموضوع، وبالرغم من تلك الأهمية فلا توجد دراسة مستقلة عن جهود بونيفاس باللغة العربية

وتم المرور عليها سريعًا من قبل الباحثين الذين اكتفوا بذكر نتائجها وتأثيرها في تاريخ أوربا في العصور الوسطى، لذلك تم اختيار هذا الموضوع للدراسة وذلك للوقوف بالتفصيل على تلك الجهود والأعمال التي غيرت وجه أوروبا وحولت الشعوب من الوثنية إلى العقيدة المسيحية وأسهمت مع غيرها من العوامل في نشر المسيحية ونبذ الخرافات والطقوس الوثنية، ولأن تلك الأعمال لاقت مقاومة شديدة ولم تتم بسهولة ويسر فكان لابد من تتبعها والتعرف على الصعوبات والإخفاقات التي واجهها بونيفاس والوسائل التي اتخذها والدعم البشري والمادي والمعنوي الذي احتاجه حتى ينجز أهدافه التنصيرية ويحقق حلمه في تحويل الشعوب الألمانية إلى المسيحية.

اعتمد البحث على المصادر الأصلية التي تتعلق بحياة بونيفاس: أهمها سيرة حياته التي كتبها ويليبولد Willibald[١]، ورسائل بونيفاس

(١) ويليبولد راهب من الأنجلو ساكسون كتب حياة بونيفاس بعد فترة قصيرة من وفاته فيما بين عامي ٧٥٤-٧٦٨م، بناء على رغبة ومساعدة الأسقف لولوس أسقف مينز (٧٥٤ – ٧٨٦م) الذي خلف بونيفاس في هذا المنصب، وكان رفيقه وصديقه المؤتمن، ويعتبر هذا المصدر الرئيس لحياة بونيفاس، لأنه معاصر واعتمد على مراسلات بونيفاس وعلى روايات أتباعه الذين كانوا شهود عيان على مراحل وأحداث حياته المختلفة.

Willibald, The Life of Saint Boniface, Translated into English for the First Time, with Introduction and Notes by Robinson W.G., Cambridge Harvard University Press,1916, Introduction, p.17, Talbot, C. H., ed. The Anglo-Saxon Missionaries in Germany: Being the Lives of S.S. Willibrord, Boniface, Strum, Leoba and Lebuin, together with the Hodoeporicon of St. Willibald and a

=

التي كتبها بنفسه إلى البابوات في روما وإلى أصدقائه في إنجلترا، أو التي أرسلت إليه وبقيت في حوزته وتم تجميعها بعد وفاته بالإضافة إلى عدد من الحوليات والسجلات المعاصرة الأخرى التي تتعلق بحياته وأعماله وعلاقته بالبابوية وبالفرنجة وبالكنيسة الأنجلو ساكسونية، إلى جانب الدراسات والبحوث الأجنبية الحديثة التي نشرت في الدوريات المختلفة.

مولد بونيفاس وحياته الباكرة:

لم يذكر ويليبولد مؤرخ حياة بونيفاس تاريخ ولادته، لذلك فإنه غير معروف على وجه الدقة وإن كان يعتقد أنه ولد ما بين عامي ٦٧٥-٦٨٠م [١]، في كرديتون Crediton على بعد عدة أميال من إكستر Exeter في وسكس Wessexفي إنجلترا[٢]، وكان أبواه من الأنجلو

=

Selection from the Correspondence of St. Boniface, New York: Sheed and Ward, 1954, p.24, Arnold N., Boniface in Wild Germany : The Mentalties and Theology of Missionary-Saint, Atheis Presented to the Faculty of California State University, Fullerton, 2015, pp.6-7, Clay J.H., in The Shadow of Death Saint Boniface and the Conversion of Hessia 721-54, in Cultural Encounters in Late Antiquity and the Middle Ages, Vol.II, British Library, 2010, p.190.

(1)Butler, A., The Lives of the Fathers, Martyrs and other Principal Saints, vol.VI, London, 1866, p.70, The Letters of Saint Boniface, Trans. Ephriam E., New York, Clumbia University Press, 1940, VIII, Arnold N., Boniface in Wild Germany, p.2.

(2) Levison W., Vitae Sancti Bonifatii Archiepisopi Moguntini, Hannoverae et Lipsiae, 1905, pp. xxix,5, No.2, Clay, in The

=

ساكسون وأطلقا على ابنهما اسم وينفرد Winfrid، ذلك الذي بدل لاحقًا ببونيفاس الذي حمله واشتهر به في التاريخ [١].

جذب بونيفاس منذ الطفولة انتباه رجال الدين من الكنيسة الأنجلو ساكسونية الذين كانوا يترددون على بيت أبيه، بأسئلته الدينية واهتماماته التأملية؛ لذلك حثوا والده على إلحاقه بالكنيسة ، لكن رفض الأب ذلك في البداية ، وبعد إلحاح بونيفاس استجاب أبوه لرغبته، وسلمه إلى دير Adescancastre في إكستر، وقضى بونيفاس في المدرسة الملحقة بهذا الدير المرحلة المبكرة من حياته في التعليم وأظهر تقدما واضحًا لفت انتباه معلميه[٢].

---

=

Shadow of Death Saint Boniface, p.56, Williamson J., The Life and Times of St. Boniface, London, 1904, pp.1,20-21.

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch.VI, pp.57-61, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.1, 20-21.

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch.1, pp.27-30, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp.70-71, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 23-24.

كانت الجزيرة البريطانية تخضع لحكم الرومان وعندما سحبوا القوات العسكرية عام ٤٤٢م للاستعانة بها في حرب الجرمان أدى ذلك إلى اشتداد غارات قبائل الساكسون والإنجليز على الجزيرة حتى تمكنوا من الاستقرار فيها وتم ذلك على مرحلتين الأولى من ٤٥٠-٥٥٠ م في حركة هجر كبيرة أشبه بالاستعمار منها إلى الغزو والمرحلة الثانية أعقبت الأولى وفيها نجحت تلك القبائل في احتلال الجزر البريطانية واقامة ممالك لهم وفرضوا لغتهم ونظمهم ووثيتهم على الجزيرة التي صار اسمها انجلترا وأصبح يطلق على سكانها الأنجلو ساكسون ، وقد اعتنقوا المسيحية في عهد البابا جريجوري الأول (٥٩٠-٦٠٤م) الذي أرسل بعثة على رأسها القديس أغسطين

=

انتقل بونيفاس بعد ذلك إلى دير نورسلينج Nursling الذي يقع بين ونشيستر Winchester وساوثامبتون Southampton في إنجلترا وبقي هناك حتى أكمل دراسته تحت رعاية وينبرت Winbertرئيس الدير[١], وقد درس الكتب المقدسة الإنجيل والتوراة التي أصبح ماهرًا فيها كما درس التاريخ وأظهر براعة في كتابة الشعر وامتاز في الخطابة والبلاغة وأنهى دراسته في عمر الثلاثين[٢].

رسم بونيفاس بعد أن استوفى تعليمه كاهنًا وأخذ الأوامر

---

=

ونجحت البعثة عام ٥٩٧م في تحويل اثيلبيرت ملك كنت ( ٥٥٠-٦١٦م) وزوجته إلى المسيحية ونهج السكان نهج ملكهم الذي أقام كاتدرائية كانتبري وجعل أغسطين أول رئيس أساقفة لها عام ٥٩٧م فقام على تدبير شؤون الكنيسة الأنجلو ساكسونية ووضع لها نظمًا وقواعد جعلتها ترتبط بالكنيسة الكاثوليكية وبالعالم اللاتيني وتتبوء مكانة كبيرة في التاريخ. عن ذلك بالتفصيل أنظر:

The Venerable Bede, Bede's Ecclesiastical History of England, Translation with Introduction, by Sellar A. M., London, 1907, pp.24-54 ff.

أنظر أيضًا : نظير سعداوي، تاريخ انجلتر وحضارتها، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٦٨م، ص٢٩ـ٤٣.

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. II, pp.32-35, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 71, Arnold, Boniface in Wild Germany, p.2, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.56, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 26-27.

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. II, pp.32-36, ch. III, p.38, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 71, Deanesly, M., A History of The Middle Church 590-1500, London, 1959, pp.51-52, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 31-32.

والتوجيهات الدينية ، واستعد للعمل خارج الدير كمعلم وواعظ، فعلم الصلاة والقداس وطقوس المعمودية، كما شرح الكتب المقدسة، وكان بارعًا في التعامل مع الناس والتأثير عليهم من خلال حماسته الدينية ومواهبه الخاصة التي استمدها من دراسته وشخصيته(١)؛ فذاع صيته وتم اختياره للمشاركة في المجمع الكنسي الذي عقد في وسكس في عهد الملك إن Ine (٦٨٨-٧٢٥م) ، وقد كان نجاح بونيفاس في هذه المهمة بداية لحياته القادمة؛ فدعاه الأساقفة إلى المجامع الكنسية للمشاركة وتقديم النصح والمشورة (٢).

كان بونيفاس يظهر حزنه الشديد تجاه الأمم التي تعيش في ظلام الوثنية، وكان يظهر رغبة شديدة في العمل في مجال التنصير لتحويل الشعوب الوثنية التي تعيش في ألمانيا إلى الديانة المسيحية حيث اعتبرهم بني جلدته ويعيشون في أرض أجداده موطنه الأصلى(٣)، ويصفهم بأنهم

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch.III, pp.37-39, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 71, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 31-32.

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. II, IV, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 71, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.56, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 32-33.

(3)Miriam J., Chosen Missionary People, Willibrord, Boniface and the Election of the Angli, Medieval Worlds, No.3,2006, Austrian Academy of Sciences Press, pp.98-115, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 32-35.

والأنجلو ساكسون من دم وعظم واحد[١].

كانت الكنيسة الإنجليزية قد أرسلت عددًا من رجالها الديريين للعمل في البعثات التنصيرية في القارة الأوربية خلال العقد الأخير من القرن السابع الميلادي، فبدأوا بالعمل في الأراضي المنخفضة التي تغطي حاليًا معظم شمال شرق هولنده وشمال غرب ألمانيا حتى الحدود الدانماركية، وفي تلك المناطق كانت تعيش قبائل الفريزيان في فريزيا Frisia التي يطلق عليها أيضا فريزلاند Friseland التي تشكل حاليًا الأراضي المشتركة الهولندية الألمانية من جنوب غرب بلجيكا حتى المنطقة الشمالية الشرقية لألمانيا، وكانت الموطن الأصلي لمعظم القبائل الإنجليزية وتقع بين إنجلترا وأوربا القارية [٢].

كان ويليبرورد Willibrord (٦٥٨ -٧٣٩م) من المنصرين

(1) James P., Saxon or European? interpreting and Reintepreting St. Boniface, History Compass 4/5, Blackwell Publishing, 2006, p.852, Miriam, Chosen Missionary People, Willibrord, Boniface and the Election of the Angli, pp.98-115.

(٢)Deanesly, A History of The Middle Church, p.50, Noble, The Letters of Saint Boniface, IX, Arnold, Boniface in Wild Germany, pp.2-3, Wood, I.N., The Missionary Life: Saints and the Evangelisation of Europe 400-1050 (Harlow: Longman/ Pearson Education, 2001), p.44, Hinne W., Boniface and the Frisian Land Revisited in it Beaken: Tydskrift fan de Fryske Akademy (Jiergong 68, 2006, numer 3l4 Outline of a Precarious Historical Relationship, Part 1.

تطلق أوربا القارية على كل قارة أوربا ماعدا الجزر البريطانية وما تشتمل عليه مثل إنجلترا وآيرلنده واسكتلنده وآيسلنده وغيرها .

الإنجليز الذين يعملون في ذلك الوقت في أراضي الفريزيان، على الحدود الشمالية لمملكة الفرنجة، وهو راهب من نورثمبريا Northumbria رحل مع أحد عشر راهبًا من أتباعه للعمل في أراضي الفريزيان، وذلك عام ٦٩٠م [١]، وكسب دعم وتشجيع رئيس البلاط في مملكة الفرنجة بيبن هريستال Pepin of Heristal (٦٨٧-٧١٤م) [٢]، الذي أراد بسط نفوذه

(1)Deanesly, A History of The Middle Church, p.50, Wood, The Missionary Life, p.44, The Cambridge Medieval History, vol.II, Cambridge, 1936, p.128, Oman Ch., The Dark Ages, London, 1908, p.263, James, Saxon or European, p.857, Miriam, Chosen Missionary People, Willibrord, Boniface and the Election of the Angli, p.100, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part III, Don Fanning, The Dark Ages Church Period of Barbarian invasion, History of Global Missions, 3, 2009, Liberty University, p.10.

(2) Thompson J., History of The Middle Ages 300-1500, London, 1931, p.112.

بيبن هريستال هو حفيد أرنولف أسقف ميتز من جهة الأم وحفيد بيبن لاندن من جهة الأب الذي ترجع إليه الأسرة الكارولنجية، استطاع بيبن هريستال أن يتغلب على منافسيه رؤساء البلاط في معركة تستري عام٦٨٧م، ويجعل السلطة الكاملة لمملكة الفرنجة في يده، واتخذ لقب دوق ورئيس الفرنجة، وسيطر على الملك وبلاطه، وبذل جهودًا كبيرة لإعادة الأمن والاستقرار لمملكة الفرنجة داخليًا وتوسيع حدودها خارجيًا.

The Chronicle of Fredegar, The Fourth Book with Continuations, Translated from Latin by Wallace – Hadrill J., M., London Edinburg Paris Melbourne Toranto and New York, 1960, pp.83-84, Liber Historiae Francorum 46, Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Rerum Merovingicarum (MGH., SS., rer Merov.) II, ed. Krusch B., Hannover, 1888, p.319, Sime J, History of Germany, London, 1874, p.28, Strauss, Moslem and Frank, vol.1, p.110, Munro D., Sontag R., The Middle Ages 395-1500, NewYork & London, 1928 pp.74-75.

=

على قبائل الفريزيان، واعتبر أن عمل المنصرين بداية للغزو الفرنجي فسمح له بالعمل في الحدود الشمالية لبلاده ، وقام البابا سيرجيوسSerius (٦٨٧ –٧٠١) بتكريس ويليبرورد رئيس أساقفة على الفريزيان عام ٦٩٥م [١]. ونجح في تأسيس أسقفية ويلتبورج Wiltaburg قرب أوترخت Utrecht في منطقة الحدود الفرنجية الفريزية وأصبح ويليبرورد أول أسقف لها[٢]، لكن التقدم في مهمة تنصير الفريزيان كان بطيئًا بسبب الحالة السياسية المضطربة في منطقة الحدود بين الفرنجة والفريزيان[٣]، حتى استطاع رئيس البلاط بيبن هريستال في عام ٦٩٧م اخضاع ملكهم رادبود Radbod (٦٨٠ –٧١٩م) ومنذ ذلك الوقت أحراز

=

سانت موس ، ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبدالعزيز جاويد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، صـ٣١٣–٣١٥، وفاء مختار غزالي، رؤساء البلاط في مملكة الفرنجة الميروفنجيين من عام ٦٣٨–٧٥١م، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ٨٠، ج١، يناير ٢٠٢٠م، صـ ٣٣٦–٣٤٣.

(1) Deanesly, A History of The Middle Church, p.50, James, Saxon or European, p.857, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.41-42.

كانتور، العصور الوسطى الباكرة ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٣م، صـ٢٨٧.

(2)Deanesly, A History of The Middle Church, p.50, The Cambridge Medieval History, vol. II, p.128, Oman, The Dark Ages, p.263, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.41-42.

(3) Deanesly, A History of The Middle Church, p.50, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.41.

المنصرون الإنجليز نجاحات في أراضي الفريزيان [١].

رغب بونيفاس في العمل التنصيري في أراضي الفريزيان، وبعد موافقة رئيس ديره ومباركة الكنيسة الأنجلو ساكسونية لبعثته أخذ يعد العدة للرحيل، وأبحر مع أتباعه المنصرين في عام ٧١٦م حتى وصل إلى دورستيد Dorstadt حوالي إثنا عشرَ ميلَ شمال شرقَ أوترخت Utrecht ضمن حدود فريزيا[٢].

تزامن وصول بونيفاس وأتباعه المنصرين إلى فريزيا مع مرحلة من الاضطرابات والحروب الأهلية بين الفريزيان ومملكة الفرنجة بعد وفاة بيبن هريستال في عام ٧١٤م[٣]، الذي كان بيده السلطة الفعلية في

(1) Deanesly, A History of The Middle Church, p.50, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.41, Munro, The Middle Ages 395-1500, pp.74-75.

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. IV, pp.43-44, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 72, Deanesly, A History of The Middle Church, p.52, The Letters of Saint Boniface, IX, Arnold, Boniface in Wild Germany, pp.2-3, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.44.

(3) Deanesly, A History of The Middle Church, p.52, The Letters of Saint Boniface, IX, Squire A., St. Boniface, Apostle of Germany, Life of the Spirit (1946-1964), Vol. 9, No. 97, The Mission of the Word (July1954), Wiley, pp. 11-17

بعد وفاة بيبن هريستال ظهرت أمام الفرنجة مشكلة خطيرة ؛ وذلك لأنه عيّن حفيده خلفًا له في منصب رئيس البلاط وهو طفل عمره ثمان سنوات، بالرغم من وجود ابن له غير شرعي يسمى شارل مارتل كان الأحق بالمنصب والأكثر كفاءة؛ لذلك انقسم الفرنجة فيما بينهم، منهم من يؤيد الابن ومنهم من يؤيد الحفيد ومنهم من اختار ثالثًا للمنصب، مما أدى إلى اندلاع الحروب الأهلية والاضطرابات الكثيرة؛ فقد حاولت =

المملكة، وكان قادرًا على إخضاع العصاة والمتمردين على حدود بلاده المختلفة، لذلك على أثر موته قامت القبائل المجاورة التي كانت خاضعة للفرنجة بالتمرد والعصيان والثورة للاستقلال والخروج عن التبعية للفرنجة، وكان من بينها الفريزيان فثاروا على سلطة الفرنجة وانضم ملكهم رادبود Radbod (٦٨٠ –٧١٩م) إلى أحد الحزبين الفرنجيين المتنافسيين على السلطة لتأجيج الحرب وإثارة الفوضى، فأبحر من فريزيا أعلى الراين وقام بالهجوم على كولون Cologne وذلك في عام ٧١٦م(١)، واستعاد فريزلاند الفرنجية في المنطقة الجنوبية لأراضي الفريزيان (٢).

---

=

أرملة بيبن هريستال الاستيلاء على زمام الحكم وصية على حفيدها، كما قامت بسجن شارل مارتل ابن زوجها، واستغل الفريزيان والساكسون هذه الأوضاع فقاموا بالثورة وحاولوا مناصرة حزب ضد الآخر لتأجيج الصراعات داخل مملكة الفرنجة.

The Chronicle of Fredegar, 8,9, pp.87-88, Strauss G., Moslem and Frank, vol.1, Londen, 1854, pp.113-114, Perry W., The Franks from Their First Appearance in History to The Death of King Pepin, London, 1857, p.241, Oman The Dark Ages, p.265, Emille de Bonnechose, The History of France, London, 1839. p.18, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.42-47, Munro, The Middle Ages 395-1500, p. 75.

(1)The Chronicle of Fredegar, 8,9, pp.87-88, Strauss, Moslem and Frank, vol.1, pp.113-114, Perry, The Franks, p.241, Oman The Dark Ages, p.265, Emille, The History of France, p.18, The Life and Times of St. Boniface, pp.42-44.

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. IV, pp.43-44, Deanesly, A History of The Middle Church, p.50, Wood, I.N., The Merovingian Kingdoms 450-751, Harlow: Longman/ Pearson Education, 1994, p. 267, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part III.VI.

استغل الفريزيان ذلك للنيل من المسيحيين، فقاموا باضطهادهم وحرق كنائسهم، وقام ملكهم رادبود الوثني بإبعاد الكهنة[١]، وأرغم ويليبرورد على ترك أسقفيته فتراجع إلى دير Echternach في أراضي الفرنجة بعدما قام الوثنيون بذبح أحد رفاقه المنصرين؛ فتفرق الكهنة المسيحيون وخربت الكنائس وأعيدت الأضرحة الوثنية[٢].

تزامن وصول بونيفاس وأتباعه إلى أوترخت مع تلك الأحداث الخطيرة التي شكلت خطرًا واضحًا على مشروعه التنصيري الذي ترك بلاده من أجله، فعمل على مقابلة رادبود ملك الفريزيان الذي تصادف وجوده هناك في ذلك الوقت، وليس لدينا معلومات عن إجراءات هذه المقابلة وما تم فيها، فالمؤرخ ويليبولد يذكر فقط أن بونيفاس بعد المقابلة قام بفحص وإكتشاف العديد من مناطق الفريزيان ليكتشف مدى إمكانية الوعظ والإيصاء بالإنجيل هناك، لكن بعد أن قضى الصيف بالكامل في أراضي الفريزيان القاحلة بلا جدوى شعر بالإحباط لأن المنطقة " تفتقر إلى الندى السماوي" لذلك قرر العودة مع رفاقه إلى الوطن إنجلترا في ربيع عام ٧١٧م[٣].

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. IV, p.44, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part III, Don Fanning, The Dark Ages Church Period of Barbarian invasion, p.10, Squire, St. Boniface, Apostle of Germany, pp. 11-17.

(2)Deanesly, A History of The Middle Church, p.50.

(3)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. IV, pp.44-45, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 72, Deanesly, A History of The Middle Church, p.52, The Letters of Saint Boniface, IX, =

لم يذكر ويليبولد أن بونيفاس زار ويليبرورد بعد وصوله إلى فريزيا، وهذا يبدو عجيبًا وربما يبرره أنه لم يتمكن من الزيارة التي كان يرغب فيها وذلك للحالة السياسية المضطربة بين الفرنجة والفريزيان، مما حال بينه وبين الوصول إليه في الدير الذي يقع في أرض الفرنجة(١).

بالرغم من أن المعلومات قليلة عن أحداث رحلة بونيفاس إلى الفريزيان وبعيدة عن الشمولية، إلا أنه يمكن أن نستنتج من خلال الأحداث أن سماح الملك رادبود لبونيفاس بالتجول واكتشاف أراضيه يعني أنه سمح له بالقيام بمهمة التنصير في تلك المناطق، لكن ربما بشروط لم يقبلها بونيفاس كأن تكون تبعيته السياسية له على حساب مملكة الفرنجة، لكن يبدو أن بونيفاس لم يكن يرغب في العيش مع الفريزيان في ظل الحروب الراهنة بينهم وبين الفرنجة مما يجعل الجهود شاقة وغير مثمرة والنتائج غير ثابتة، فقد كان يدرك أن نجاح أعماله التنصيرية لابد أن يعتمد على القوى السياسية الأقوى في تلك المنطقة وهي مملكة الفرنجة، ليأخذ منها الدعم والحماية كما فعل ويليبرورد، لذلك لم يرغب أن ينجز مهمته في الجانب الخاطىء من الحدود، وشعر بالإحباط مما جعله يعود إلى وطنه. وربما يؤيد ذلك ما ذكره ويليبولد "أن القدسيين عندما يدركون أن أعمالهم محبطة لفترة من الزمن ولا تحمل ثمرة روحانية ، يذهبوا إلى أماكن أخرى حيث تبدو النتائج أكثر

---

=

Arnold, Boniface in Wild Germany, pp.2-3, Williamson,The Life and Times of St. Boniface, pp.45-46.

(1) Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part III.

وضوحًا"[١].

بعد أن قضى بونيفاس الصيف بالكامل في بلاد الفريزيان بدون جدوى عاد إلى صومعته في دير نورسلينج Nursling وبعد ذلك بقليل مات وينبرت رئيس الدير فاختار الرهبان بونيفاس ليخلفه فرفض المنصب مما جعلهم يطلبون من صديقه دانيال Daniel أسقف ونشيستر Winchester أن يقنعه، لكن بونيفاس أخبره بأنه سيواصل مهمته التنصيرية لتحويل الشعوب الوثنية الألمانية إلى المسيحية، وأن هدفه لم يتغير، فاقتنع دانيال وشجعه على استئناف مهمته[٢].

التكليف البابوي لبونيفاس بنشر المسيحية بين القبائل الألمانية:

كان بونيفاس يفكر في الطريقة التي تضمن تحقيق أهدافه لتجنب الفشل السابق الذي حدث في فريزيا، فوجد أنه لابد من الحصول على الدعم الديني والسياسي لإنجاز مهمته، لذلك أخذ يعد العدة للذهاب إلى روما ومقابلة البابا صاحب السلطة الدينية العليا، وكان بونيفاس يظهر تبجيلًا وولاءًا عظيمًا للكنيسة الرومانية في كل مرحلة من مراحل حياته، لذا سعى لأخذ بركته ومباركته لمشروعاته التنصيرية، وأعطاه دانيال

(1) Willibald, The Life of St. Boniface, Ch. IV, pp.43-45, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part III, IV, 1, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.44-46.

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V, pp.46-48, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 72, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part III. Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 46-47.

أسقف ونشيستر رسائل تحمل الثناء والتزكية عليه ليسلمها للبابا[١].

ترك بونيفاس وأتباعه للمرة الثانية والأخيره وطنه إنجلترا في طريقه إلى روما في عام ٧١٩م وقابل البابا جريجوري الثانيGregory II (٧١٥-٧٣١م) واستجدى بركته وسلطته لكي يوصي بالإنجيل بين الوثنيين، وأخذ على عاتقه مهمة العمل على الانضباط المقدس والإلتزام بالطقوس الرسمية لكنيسة سانت بيتر، وسلم له الرسائل التي حملها من الأسقف دانيال، وبعد أن لمس فيه البابا علامات الإيمان وصفات الواعظ، أرسله واعظًا Predicator لإيصال المسيحية إلى الشعوب الجرمانية Germanicum الوثنية، وكلفه بإعداد تقرير عن تلك الشعوب الوثنية والوقوف على مدى قابليتها لاستلام بذرة الإيصاء والوعظ بالإنجيل، كما منحه العديد من الآثار المقدسة ورسائل توصية إلى كل الأمراء المسيحيين في طريقه[٢].

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V, pp.46-47, The letters of Saint Boniface, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 72, Deanesly, A History of The Middle Church, p.52, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.47-48.

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch.V, pp.48-51, The letters of Saint Boniface, pp.32-33, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 72, James, Saxon or European, p.857, The Letters of Saint Boniface, IX-XII, Arnold, Boniface in Wild Germany, pp.2-3, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part IV, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.240-241, Thompson, History of The Middle Ages, pp.112-113, , Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.49-55.

كان مصطلح جرمانيا يدل على منطقة جغرافية واسعة تضم عشائر وقبائل مختلفة ترجع إلى أصل واحد، ويشير البابا وبونيفاس في المراسلات بينهما في أغلب الأحيان إلى ميدان المهمة التنصيرية أنها بين القبائل الجرمانية ( الألمانية )، أولئك الذين يسكنون في المنطقة الشرقية إشارة إلى منطقة شرق نهر الراينRhine، فتم استعمال تعبير عرقي عام يدل على سكان منطقة جرمانيا بالكامل دون تمييز أو تحديد، لكن عندما يكتب البابا مباشرة إلى شعب معين في تلك المنطقة يحدده باسمه مثل شعب الهيسHesse وثورونجيا Thuringi والسكسون القدماء Alt Saxones[١].

استلم بونيفاس بذلك مهمته التنصيرية بين القبائل الجرمانية الوثنية من يد البابا، وبذلك أصبح يعمل من قبل السلطة المسيحية الدينية العليا في أوربا، التي كانت في حاجة لتدعيم قوتها وسلطتها وتعزيز أهدافها من قبل رجال أقوياء مخلصين يدينون لها بالولاء، وكان بونيفاس من نوع هؤلاء الرجال ، ويرغب في خدمة البابوية بإخلاص وحماس والعمل على جلب الآخرين للخضوع إليها، من خلال تطبيق القوانين المقدسة والالتزام بالطقوس الرسمية للكنيسة الرومانية [٢].

رحل بونيفاس وأتباعه المنصرين بعد أن نالوا بركة البابا، وعبروا من خلال نهر الدانوب إلى بافاريا Bavaria في شرق ألمانيا، وشقوا

(1) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp. 260-262.
(2) Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part IV, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.51.

طريقهم شمالًا في رحلة تفتيش واكتشاف للأراضى الملائمة لبذر بذرة الإيمان بين القبائل الألمانية طبقًا للأوامر البابوية، حتى وصل في ٧١٩م إلى ثورنجيا Thuringia التي تقع في وسط ألمانيا فوجدها ميدانًا مناسبًا للعمل ليس فقط بين الوثنيين فيها؛ لكن أيضًا بين المسيحيين الذين كانوا يعيشون في ضلال المخالفة لمذهب الكنيسة الرومانية، واعتبر بونيفاس ذلك هرطقة بسبب انحراف الكهنة ورجال الدين عن الطريق القويم، والتعاليم المقدسة(١).

اجتمع بونيفاس بزعماء ثورونجيا وبرجال الكنيسة فيها ودعاهم لترك الممارسات الخاطئة والعودة إلى الدين المسيحي الصحيح الذي قبلوه بموجب قبولهم التعميد، وقضى عدة شهور في ثورونجيا يعمل على تصحيح المذهب ونشر الإيمان الحقيقي وإحياء الانضباط الكنسي والالتزام بالشرائع المقدسة (٢)، ويذكر ويليبولد أن بونيفاس خاطب بموجب الأمر الرسولي كنيسة ثورونجيا والزعماء وقادهم إلى الطريق الصحيح للمعرفة والفهم، وهم الذين تم إغرائهم قبل ذلك من قبل المعلمين المنحرفين، فقام بونيفاس بالتعليم والتصحيح والتحذير من الحقد والعمل

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V, pp.51-52, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.56-57, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp. 72-73, Kylie E. J., The Condition of the German Provinces as Illustrating the Methods of St. Boniface: The Journal of Theological Studies, October 1905, Vol. 7, No. 25 (October 1905), Oxford University Press, pp. 29-39.

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V, pp.51-52, ch.VI, p.64. Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.56-57.

على الاستقامة والشركة الأخوية [١].

استعان بونيفاس بعدد من المنصرين الأنجلو ساكسون الذين تجمعوا حوله وانتشروا للعمل في مقاطعات ثورونجيا الألمانية وقاموا بالوعظ وتعليم الناس الطقوس الدينية الصحيحة مما أدى إلى تعميد عدة آلاف منهم[٢]، فأرسل إلى البابا تقريرًا بذلك، فهنئه البابا وجدد دعمه وثقته فيه ، وصرح له أنه كتب إلى الثورنجيين من أجل مهمته هناك[٣]، فابتهج بونيفاس بذلك وواصل العمل بحماسة شديدة، وتم بناء دير أردورف Ohrdruf على الحافة الشمالية لغابة ثورونجيا على نهر أورا Ohra[٤].

انتشرت أخبار نجاح بونيفاس في أجزاء أوروبا ووصلت إلى بريطانيا مما شجع عددًا كبيرًا من القراء والكتاب والرجال المتعلمين للالتحاق به ووضعوا أنفسهم تحت إمرته، ووعظوا بكلمة الله، وعملوا معًا في مجموعات في العديد من المناطق في ثورونجيا، حتى تم تعميد عدة آلاف منهم؛ وبنى بونيفاس عددًا كبيرًا من الكنائس للثورنجيين [٥].

بينما كان بونيفاس منشغلاً بالعمل في ثورونجيا على تحويل الوثنيين وتصحيح المذهب، علم بموت رادبود ملك الفريزيان في عام

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V,pp.51- 52.
(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch.VI, p.67.
(3) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p .194.
(4)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch.VI, p.67.
(5)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch.VI, p.67, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.194.

٧١٩م[١]، وأن شارل مارتل Charles Martel رئيس البلاط ( ٧١٩-٧٤١م ) وحد مملكة الفرنجة تحت سلطته ونجح في قهر أعدائه وتقدم إلى بلاد الفريزيان وأعاد الاستيلاء على جزء من أراضيها غرب فريزيا، وأعاد سلطته واخضع المتمردين الذين أضطروا للإعتراف بالتبعية لمملكة الفرنجة[٢]، فابتهج بونيفاس كثيرًا لهذه الإخبار، وتجددت رغبته في الذهاب مرة ثانية إلى فريزيا لإنجاز مهمته[٣].

رحل بونيفاس على أثر هذه الأخبار حتى وصل إلى أراضي الفريزيان في ٧١٩م، وانضم إلى ويليبرورد رئيس أساقفة أوترخت، الذي استعاد أسقفيته بعد موت رادبود بمساعدة شارل مارتل دوق الفرنجة، الذي مكن أيضًا لبونيفاس وأتباعه المضي لإنجاز مشروع تنصير

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V, p. 52, VII, p.69, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp.72-73, Halbertsma, H., Frieslands Oudheid: Het Rijk van Friese Koningen, Opkomst en Ondergang, Utrecht: Uitgeverij Matrijs, 2000, 93; 327, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.57.

(2)The Chronicle of Fredegar,11-20,pp.90-95, Alcuin, Vita Willibrordi; The Life of St. Willibrord, Chapter 13: in Thomas F.X. Noble and Thomas Head, Soldiers of Christ: Saint and Saints' Lives from Late Antiquity and the Early Middle Ages, (University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1995) ؛Halbertsma, Frieslands Oudheid: Het Rijk van Friese Koningen, pp.92-93, Perry,The Franks,p.248, Oman,The Dark Ages, pp.267- 289, Strauss,Moslem and Frank,vol.1, p.123, Williamson, The Life and Times of St. Boniface,pp.75-59.

(3)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V, pp.52-53, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part IV, 1.

الفريزيان[١].

قويت سلطة شارل مارتل على فريزيا وصاحب ذلك قوة العمل التنصيري تحت رعاية ويليبرورد وبونيفاس، فقد كان التنصير جزءًا من الغزو العسكري ويتزامن ويتوافق مع التوسع الفرنجي تجاه الشمال، فغزو القبائل يتم بالجيوش العسكرية وبجهود المنصرين [٢]، ويظهر ذلك واضحًا مما ذكره ويليبولد" قويت سلطة الزعيم المجيد شارل على أرض الفريزيان، وملأ صوت الوعاظ الأرض"[٣].

كان لابد من الحصول على دعم وحماية القادة المحليين في فريزيا بالإضافة إلى دعم شارل مارتل والحماية العسكرية؛ حتى تنجح المهمة التنصيرية في تلك البلاد من الهجمات المدمرة والثورة الدائمة من الفريزيان[٤]؛ ونجح المنصرون في كسب بعض الزعماء في تلك البلاد،

(1) Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V, pp.53-54, Deanesly, A History of The Middle Church, pp.51-52, Munro, The Middle Ages 395-1500, p.76.

(٢) Alcuin, Vita Willibrordi; Alcuin, The Life of St. Willibrord, Chapter 13, Wood, I.N., The Missionary Life: Saints and the Evangelisation of Europe 400-1050, Harlow: Longman/Pearson Education, 2001, p.57, Don Fanning, The Dark Ages Church Period of Barbarian invasion, p.10, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 58-59, Munro, The Middle Ages 395-1500, pp.75-77.

(3)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V, p.53, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part IV, 2.

(4) Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part IV, 2, Don Fanning, The Dark Ages Church Period of Barbarian invasion, p.10.

ففي أوترخت كان هناك عائلة ليدجردين Liudgeriden القوية التي قام زعماؤها بهذا الدور على خير وجه، مما كفل لبونيفاس وأتباعه الحماية والنجاح فأخذوا في التقرب من السكان المحليين والاندماج معهم وكان هذا من مقومات نجاح المهمة التنصيرية(١).

قضى بونيفاس ثلاث سنوات في العمل في فريزيا ٧١٩-٧٢٢م كانت من أخصب الفترات؛ فقد نجح مع أتباعه المنصرين في تعميد عدد كبير من الفريزيان، وتحطيم المعابد والأضرحة الوثنية وبناء الكنائس فانتشرت المسيحية (٢)، ووصلت هذه الإنجازات إلى إنجلترا، فأرسل أصدقاء بونيفاس رسائل تهنيئة له على هذا النجاح (٣).

شعر ويليبرورد بالسعادة البالغة للعمل مع بونيفاس لمدة ثلاث سنوات من العمل المثمر؛ فأراد أن يعينه أسقفًا، لكن رفض بونيفاس هذا العرض بحجة أنه لا يستحق هذا المنصب، كما أنه لم يصل الي الخمسين من عمره ذلك السن الذي ينص عليه القانون الكنسي، لكن ويليبرورد لم يقبل ذلك ووبخه وحثه بصرامة على قبول المنصب الكنسي

(1) James, Saxon or European, p.856.

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V, p.53, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp.72-73, Miriam, Chosen Missionary People, Willibrord, Boniface and the Election of the Angli, p.100, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part IV, 2.

(3) Tangl M., Die Brief des Heiligen Bonifatius und Lullus, MGH., Epistolae ,1, Berlin, 1916, Epistulae 15, The Letters of Saint Boniface, p.18, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part IV, 1.

الذي عرضه عليه للحاجة الماسة لمساعدته في تحويل شعب الله[١].

لم يغير بونيفاس موقفه رغم كلمات التأنيب التي وجهها ويليبرورد له، لذلك ظهر النزاع بينهما مما جعل بونيفاس يقدم عذرًا مقبولًا، فذكر أن الأسقف المقدس بابا روما كلفه باستكشاف الأراضي وجلب القبائل الألمانية الوثنية للمسيحية، وجعله سفيرًا إلى الأرض الغربية للبرابرة، كما أوضح له أنه عمل معه خلال تلك الفترة تطوعًا بمحض إرادته الحرة دون مرسوم أسقفي، وأنه لا يجرؤ على أن يتقلد رتبة كنسية وهو ملتزم بالتكليف البابوي، فما كان من رئيس الأساقفة إلا الخضوع لأمر البابا، فبارك مهمة بونيفاس وأعطاه الحرية فورًا للسفر والرحيل[٢].

يبدو موقف بونيفاس غريبًا وغير متوقع، فلماذا يترك بلاد الفريزيان بعد أن أحرز نجاحًا ملحوظًا وكان يستطيع أن يكمل حلمه في تنصير الفريزيان، الذين هم جزء من القبائل الألمانية الوثنية التي نص عليها التكليف البابوي، وهل كان خلال تلك المدة التي وصلت إلى ثلاث سنوات متقاعسًا أو عاصيًا للأمر البابوي؟ وإغفال المصادر المعاصرة ذكر تفاصيل هذا الأمر؛ يقودنا لاستقراء السبب الحقيقي وراء ترك بونيفاس فريزيا، فربما فكر بونيفاس أن تعينه أسقفًا من قبل وليبرورد سيجعله خاضعًا له ومرتبطًا بهذه الأسقفية وتلك البلاد دون غيرها، وهذا

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V, pp.53-54, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp.72-73, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part IV, 1, 2.
(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. V, pp.54-55.

لا يتناسب مع طموحاته ومشروعاته التي يخطط لها، والتي بدأت بالارتباط المباشر مع البابا رأس وزعيم الكنيسة الرومانية .

كما يحتمل أن يكون قد حدث نزاع بين بونيفاس ووِيليبرورد جعل الأول يترك فريزيا، وربما يرجع سبب النزاع إلى الخلاف بينهما في السياسة المتبعة في بلاد الفريزيان، فعمل ويلبيرورد لم يكن يتماشى مع الإستراتيجية التي يرغب بونيفاس في تطبيقها؛ فلم يقم الأول بتأسيس أبروشيات ولا بعقد مجامع كنسية ولا بالتوسع جغرافيًا خلال فترة عمله التي امتدت تقريبًا حوالي خمسين سنة من العمل التنصيري، مما جعل التقدم في العمل بطيئًا؛ بسبب ضعف التخطيط وعدم وضوح الرؤية وتحديد الأهداف(١)، وهذا الخلاف يرجع للاختلاف بينهما في المرجعية الدينية؛ فبونيفاس يعتنق المعتقدات والأفكار الدينية الصارمة الخاصة بالكنيسة الرومانية، ويعتنق ويليبرورد أفكار ومعتقدات الكنيسة الآيرلندية، ودون الحاجة إلى الخوض في هذه الاختلافات بالتفصيل، فمنها أنه لم يكن تنظيم الكنيسة الآيرلندية موافقًا لتنظيم الكنيسة الرومانية، فالأولى لم يكن زعماؤها من الأساقفة بل من مقدمي الأديرة، ولم يكن تنظيمها يتضمن الإكليروس الأسقفي، كما أن الكنيسة الآيرلندية تحتفل بعيد الفصح في تاريخ غير تاريخ احتفال الكنيسة الرومانية به، وربما أدى كل ذلك إلى الاختلاف بينهما فيما يتعلق بالسياسة الإكليروسية والروحانية،

(1) Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part IV, 3.

وانعكس ذلك على قرار بونيفاس بترك بلاد الفريزيان [١].

ترك بونيفاس بلاد الفريزيان، وذهب للعمل على تنصير القبائل الألمانية التي تعيش داخل حدود مملكة الفرنجة الميروفنجيين، فذهب في عام ٧٢٢م إلى منطقة هيسيا Hessia على الحدود الساكسونية Saxony والتي يسكنها شعب الهيس، وتمتد حديثًا جنوب نهري الراين Rhine والمين Main، والتي كانت في تلك الفترة منطقة سياسية يتنازع السيطرة عليها الفرنجة والساكسون أيهما أقوى[٢]، وكانت تمثل أهمية استراتيجية للفرنجة، لذلك استطاعوا الاستيلاء عليها وإقامة التحصينات العسكرية للتصدي للساكسون وهجماتهم ، وبالرغم من السيطرة السياسية والعسكرية للفرنجة على هذه المنطقة إلا أنه لم يتم تنصير قبائل الهيس، الذين قاموا بطرد الراهب سيودبيرت Suidbert الذي أرسله بيبن هريستال للعمل بينهم[٣]، واستمروا على وثنيتهم حتى وصول بونيفاس، الذي نجح في كسب دعم وحماية اثنين من الزعماء المحليين وهما

(1) Mayr-Harting, H., The Coming of Christianity to Anglo-Saxon England, 3d, ed., Pennsylvania: Pennsylvania State University Press, 1991, Chapters 5 and 6; Brown, P., The Rise of Western Christendom: Triumph and Diversity, A.D. 200-1000, 2nd. ed. (Blackwell Publishing, 2003); Part III: 'The End of Ancient Christianity A.D. 600-750, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part III.

كانتور، العصور الوسطى الباكرة ، صـ٢٨١-٢٨٢.

(2) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.119 -120,157-159,191.

كانتور، العصور الوسطى الباكرة ، صـ٢٨٩.

(3) Oman, The Dark Ages, p.263.

Dettic,Deorwulf اللذين كانا يحكمان أمانبورج Amoeneburg وتحولا إلى المسيحية بفضل دعوته، فأعطياه الأرض التي بنى عليها ديره الأول Amoeneburg بالقرب من الحدود الساكسونية حتى يتمكن من نشر الإنجيل في منطقة الحدود بين قبائل الهيس والساكسون؛ فتجمع إليه عدد كبير من سكان هذه المنطقة، الذين تم تعميدهم للمسيحية، واستعان بونيفاس بعدد من أتباعه المنصرين للعمل في هذه المنطقة [١].

وخلال تلك الفترة أحرز بونيفاس العديد من النجاحات، لذلك رأى أن يرسل إلى البابا رسالة تحوي تقريرًا عن أعماله فيها، واحتوت الرسالة أيضًا على بعض الأمور المهمة والأسئلة التي تتعلق ببعض القضايا الكنسية، فرد البابا عليه برسالة يهنئة فيها على انجازاته ويستدعيه للحضور إلى روما[٢].

استجاب بونيفاس للاستدعاء البابوي، فرحل إلى روما واستقبله البابا جريجوري الثاني بالترحيب، ورأى منه علامات الاحترام والتبجيل، وتم تكريسه أسقفًا في كنيسة سانت بيتر وذلك في نوفمبر ٧٢٢م، ومنحه

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. VI, pp.57-58,68. Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part IV, 1, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.192, Kylie, The Condition of the German Provinces as Illustrating the Methods of St. Boniface, pp. 29-39, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.59-60.

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch.VI, pp.57-59, The letters of Saint Boniface, pp.6-7, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp.72-73, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.192-193.

لقب a Regionarius ويعني أسقف بدون أسقفية[١]، مما يعني انتسابه إلى البابا مباشرة ، وبذلك ارتبط بونيفاس إلى الأبد بالكنيسة الرومانية وبخدمة البابا، فلم يكن بونيفاس منصرًا من الطراز العادي، لكنه أظهر الولاء والإخلاص والتبعية للكنيسة الرومانية، وأكد ذلك بالقسم إلى الكرسي الرسولي في روما على غرار قسم الأساقفة الرومان، مما يعني العمل على وحدة الكنيسة العالمية، والوفاء لها، وتأكيد الانتماء لروما الذي أصبح أساس عمله المستقبلي [٢]، وبناءً على ذلك طلب بونيفاس من كل أسقف يتبعه أن يقسم يمين الولاء لكنيسة روما وللقديس بطرس،

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch.VI, pp.57-61, The letters of Saint Boniface, pp.6-7, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 73, Deanesly, A History of The Middle Church, p. 52, Arnold, Boniface in Wild Germany, p. 3, Don Fanning, The Dark Ages Church Period of Barbarian invasion, p.10, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.59-60.

أرسل البابا جريجوري الثالث رسالة إلى بونيفاس لاحقًا في عام ٧٣٩م تتضمن هذا المعنى، وفيها " أنت لست أخًا حرًا للبقاء في مكان واحد حتى يكتمل عملك، لكن لتقوية قلوب كل الأخوة المخلصين الذين يسكنون تلك المناطق في الغرب، حينما يوحي إليك الرب ويكشف لك الطريق للخلاص فلا تتوقف عن الإيصاء".

Tangl, Epistolae 45, p.73, II.16-17., Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.209-210.

(2) Willibald, The Life of Saint Boniface, ch.VI, pp.57-61, The letters of Saint Boniface, No. VIII, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part III, IV, 1. Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.192-193, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 60-63.

يذكر المؤرخ بتلر أن زيارة بونيفاس الثانية إلى روما كانت في عام ٧٢٣م، وبالتالي فإن هذه الأحداث تمت في نفس العام The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 73

وقسيسه الأعظم وهو البابا[١].

يذكر ويليبولد أن في هذه المناسبة غير البابا جريجوري الثاني اسمه القديم وينفرد إلى بونيفاس اللاتيني الذي اشتهر به في التاريخ، ويبدو أن ويليبولد أخطأ في ذلك لأنه توجد عدة رسائل فيما بين ٧١٩-٧٢٢م تحمل اسم بونيفاس مما يعني أن البابا منحه اسم بونيفاس في زيارته الأولى لروما عام ٧١٩م [٢].

أعطى البابا كتاب الشرائع المنتقاة للكنيسة إلى بونيفاس لتصبح القاعدة التي يسير وفقها كما أعطاه رسائل لشارل مارتل يطلب منه فيها حماية ومساعدة بونيفاس في مهمته، ورسائل أخرى إلى كل الأساقفة والأمراء، ومن هذه النقطة تابع بونيفاس مهمته كأسقف مكلف بتنصير الوثنيين الألمان، وإيصال الإيمان الصحيح إلى كل المسيحيين هناك[٣].

تلاقت سياسة البابوية مع سياسة شارل مارتل الذي أراد اخضاع

---

(١) سانت موس، ميلاد العصور الوسطى، صـ٣١٨، ٣٣٠ .

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, Note p. 61, The letters of Saint Boniface, p. 7, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp.62.

(3)Willibald,The life of Saint Boniface, VI. pp.58-62 Leopold von Ranke , History of The Popes, Translated by Fowler E., vol.1, New York, 1901, p.13,Williamson, The Life and Times of St. Boniface,The Life and Times of St.Boniface,pp.60-61, Taylor B., Germany, vol.xviii, Chicago, 1910, pp.72-73, Sime,History of Germany, p.30, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 73, Deanesly, A History of The Middle Church, pp. 52-53, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.192-193.

القبائل الألمانية على حدود مملكة الفرنجة وتحويلهم للمسيحية، لذلك استقبل بونيفاس ووافق على مشروعه ودعمه، وأعطاه رسائل إلى كل البلاد التي يتصل بها في عمله تخوله السلطة للعمل التنصيري والإصلاح الديني في تلك البلاد(١)، وكان ذلك من حسن حظ بونيفاس، لأنه بذلك يعمل مع سياسة مملكة الفرنجة وليس ضدها، التي اعتبرت أن الألمان الذين يعيشون فيما وراء نهر الراين Rhine واعتنقوا المسيحية جزءًا منها، وعلى النقيض من ذلك فإن القبائل الوثنية قاومت الخضوع لها وبقيت خارج سلطتها بالرغم من فرض الإتاوة عليهم، إلا أنهم كانوا يتمردون ويقومون بشن الحرب للخروج على هذه التبعية؛ لذلك حاولت مملكة الفرنجة أن تجذب تلك القبائل إليها عن طريق تحويلها للمسيحية(٢).

لذلك بدأ بونيفاس يستعد للعمل، وأخذ على عاتقه مواصلة مهمة تنصير القبائل الألمانية، فترك قصر شارل مارتل وشق طريقه إلى منطقة الهيس ـ ثورونجيا لاستئناف عمله هناك بعد أن تركه فترة بسبب رحلته إلى روما، فواصل عمله بحماسة أكثر من ذي قبل بعد أن استمد

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch.VI I, p. 62, Tangl, Epistolae 22, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, The Life and Times of St. Boniface, pp.63-65.

(2)Williamson, The Life and Times of St. Boniface, The Life and Times of St. Boniface, pp.63-65, Don Fanning, The Dark Ages Church Period of Barbarian invasion, pp.10-11, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p. 40.

القوة والتأييد من البابا وشارل مارتل[١]، كما استمد النصح من أصدقائه المخلصين في إنجلترا، ومنهم الأسقف دانيال الذي أمده بالنصح والتوجيه في التعامل مع الوثنيين المؤمنين بالخرافات، الذين رفضوا التخلي عن معتقداتهم وقاوموا محاولات التنصير، وذلك من خلال الرسائل التي أرسلها له وتعكس الطريقة التي يجب أن يتعامل بها المنصرون في مواجهة الصعوبات المحتملة ودحض الأفكار والمعتقدات الوثنية، من خلال الاستماع الجيد لهم والاعتدال في معاملتهم دون ردعهم بقسوة أو توبيخهم ورفع الصوت عليهم، حتى يستميلهم ومن ثم يسهل التأثير عليهم[٢]، " يجب عليك أن لا ترفع صوتك ضد المخطئين، اتركهم يعلنون إليك أن آلهتهم ولدت من جماع جسدي، ثم أوضح لهم أن ذلك هو أصل الإنسان ولا يمكن أن يكون إلا للبشر، ولو أن ألهتهم وجدت بهذه الطريقة البشرية؛ فإنها لا يمكن أن تخلد للأبد ....."[٣].

تبنى بونيفاس هذه الأفكار المعتدلة في التعامل مع الوثنيين المؤمنين بالخرافات، فأحرز تقدمًا بينهم، حتى استطاع في عام ٧٢٣م

(1) Deanesly, A History of The Middle Church, pp. 52-53, Noble, The Letter of Saint Boniface, 22, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.192-193, Arnold, Boniface in Wild Germany, p.3.

(2) Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.66-67, Tangl, Epistulae, letter 23, The Letters of Saint Boniface, No.LII, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part VII, 1, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.194.

(3) Bonifatii Epistulae, letter 23, The Letters of Saint Boniface, No.LII, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.194.

أن يحطم بيده شجرة البلاط المقدسة التي كان يعبدها شعب الهيس منذ القدم في جيسمار Geissmar أعلى نهر الهيس Upper Hesse ويعتبرونها إلهًا على شكل ثور يقدمون له القرابين المقدسة، ويطلقون عليه Donneriche أو إله المشترى Oak of Jupiter [١].

بالرغم من أن بونيفاس كان تحت التهديد المستمر ويعيش حياة غير مستقرة هو واتباعه بين هذه القبائل الوثنية التي تدافع عن عقيدتها بشدة وعنف إلا أنه أراد بهذا العمل أن يحطم الخرافات الوثنية التي غطت عقول الوثنيين بالضلال؛ فأمسك بفأسه وحوله اتباعه، وفي حضور الوثنيين الذين كانوا غاضبين ويريدوا قتله؛ لكنهم انتظروا حتى تحل لعنة الإله عليه وعلى اتباعه، وبينما كان بونيفاس منشغلًا بتحطيم الشجرة، هبت ريح هائلة فجاة وأكملت العمل الذي بدأه، فسقطت الشجرة على الأرض منقسمة إلى أربعة أقسام، وفشل إلههم المزعوم في دفع الخطر عن نفسه أو الانتقام مما حل به[٢].

هذا الموقف جعل الوثنيين يرضخون لبونيفاس بعد أن شعروا بأن

(1)Willibald,The life of Saint Boniface, ch.VI, p.63, Noble, The Letter of Saint Boniface, XIV, Arnold, Boniface in Wild Germany, p. 4, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.68-69, Taylor, Germany, vol.xviii,pp.71-72, Sime,History of Germany, p.30, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp. 73-74, Oman,The Dark Ages, p.291,The Cambridge Medival History,II, p.797, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p. 193.

(2)Willibald,The life of Saint Boniface, ch.VI, pp.63-64, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.68-69.

آلهتهم القديمة عاجزة عن حماية نفسها، وأن هبوب الريح كان محاباة لله وللمسيحيين، فأظهروا الاندهاش ولم يقاوموه أو يعترضوا على عمله، وكان من نتائج ذلك دخول الآلاف من الوثنيين في المسيحية، فتم تعميدهم وتركوا خرافاتهم وعاداتهم الوثنية(١).

لابد أن بونيفاس اعتمد على حماية شارل مارتل والقوات العسكرية الفرنجية عندما قام بتحطيم شجرة البلوط المقدسة، وكان هذا كفيلًا بنجاحه، وزيادة عدد المتحولين الجدد للمسيحية، وموقع جيسمار بالقرب من الحصن الفرنجي بورابورج Buraburg يدعم هذا الرأي(٢).

قام بونيفاس وأتباعه ببناء مصلى لهم من أخشاب شجرة البلوط المحطمة، هذا المصلى الذى تطور إلى كنيسة ودير فريتزلار Fritzlar وكرسهما للحواريين بطرس وبولس(٣)، وعين راهبًا للدير يسمى شتورم

(1)Willibald,The life of Saint Boniface, ch.VI, pp.63-64, Kylie, The Condition of the German Provinces, p.30, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.68-69.

(2) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.194, Don Fanning, The Dark Ages Church Period of Barbarian invasion, p.10, Munro, The Middle Ages 395-1500, pp.76-77.

كانت بورابورج حصن وقلعة للفرنجة تقع على تله مرتفعة تطل على نهر الإيدر بالقرب من مدينة فريتزلار في شمال بلاد الهيس، قام الفرنجة من خلالها بتأمين عمل بونيفاس بين هذه القبائل الوثنية.

Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.157-159.

(3)Willibald,The life of Saint Boniface, ch.VI, p. 64, The Letter of Saint Boniface, XIV, Arnold, Boniface in Wild Germany, p. 4, Deanesly, A History of The Middle Church, p. 53, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.200-201., Kylie, The Condition of the German Provinces, pp.34-35.

Sturm الذي كان تلميذًا له وتعهده بالرعاية والتعليم وجعله تحت توجيه ويجبرت ( ٧٢٣-٧٤٦م) Wigbert رئيس دير فريتزلار[١]، وأصبح هذا الدير مركزًا لتنصير الهيس في المنطقة الشمالية الشرقية الواقعة على حدود الأراضي الفرنجية، وبؤرة التأثير الفرنجي في المنطقة، وكان يتم فيه تدريب الكهنة وشباب المنصرين على مهام الوعظ، وكان الملجأ الآمن للرهبان الذين يعملون في التنصير وسط الهيسيين بمساعدة قوات الفرنجة، وبدعم زعماء الهيس المسيحيين الذين قاموا بالتبرع لبناء مؤسسات كنسية، وأماكن للعبادة للجاليات التي يتم تعميدها من الهيس[٢].

شعر بونيفاس أنه أحرز نجاحًا في عمله بعد أن نجح في تعميد عدد كبير من الهيسيين ؛ لذا أصبح بحاجة إلى زيادة أعداد العاملين في تلك المنطقة ليعينوه على استمرار هذه النجاحات، فأرسل إلى وطنه إنجلترا يطلب المعونة من إخوانه، وتم الإستجابة فتم ارسال أعداد كبيرة من رجال الدين المتعلمين كما أرسل له الأسقف دانيال عددًا من الرهبان

(1) Eigil, Vita Sancti Stumi Primi Abbatis Fuldensis, in Sidera Germaniae (Mainz, 1616), pp. 5-24, in Monumenta Gernurniae Historica, Scriptores, vol. ii, pp. 366-77, Talbot C. H., The Anglo-Saxon Missionaries in Germany, Being the Lives of SS. Willibrord, Boniface, Leoba and Lebuin together with the Hodoepericon of St. Willibald and a selection from the correspondence of St. Boniface, (London and New York: Sheed and Ward, 1954), pp. 181-183, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.205-206.

(2) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.200-206.

والراهبات والكتب المقدسة، وبذلك حصل على دعم جديد من العمال الذين وزعهم بونيفاس في مجموعات متفرقة بين قبائل هيسيا وثورونجيا مما أدى لتنصير عدة آلاف [١].

كان بونيفاس حريصًا على تقوية الروابط بين أعماله في ألمانيا وبين كنيسة إنجلترا، وفي عدة رسائل يؤكد على الرابطة القوية بين المنصرين في الخارج والكهنة والرهبان في إنجلترا، ويطلب منهم أن يصلوا من أجل إخوانهم المنصريين[٢]، كما طلب وحصل بونيفاس أيضًا من أصدقائه وأقربائه وأتباعه الأنجلو ساكسون على الدعم المادي، الذي كان ضروريًا لنجاح واستمرار مهمته بين القبائل الألمانية بعد أن عانى مع أتباعه الفاقة الشديدة [٣]، فتسلم الاحتياجات العينية والمادية منهم كهدايا، ورسائله تحوي العديد من تلك الأمثلة، فيشكر باجا Bugga على ارسالها الملابس Vestimenta [٤], ويشكر إدبورج Eadburge على

(1)Willibald, the life of Saint Boniface, ch.VI, pp. 66-67, Cloy, in The Shadow of The Death, p.194, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp. 73-74, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.70-71, Kylie, The Condition of the German Provinces, pp.37-39, James, The Medieval Missionary, pp.93-94.

(2)The letters of Saint Boniface, p.6, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.81, James, Saxon or European, p.854, James A., The Medieval Missionary, pp.95-96, Squire, St. Boniface, Apostle of Germany, p. 15.

(3)Willibald,The life of Saint Boniface, ch.VI, p. 66, James, The Medieval Missionary, pp.91-96.

(4) Tangl, Epistolae 27, p.48,1.32, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.349. James, The Medieval Missionary, p.96.

نفس العمل[١]، كما استلم من أصدقائه في إنجلترا الفلفل والتوابل والبخور والنبيذ ونبات المر [٢] وطاسة فضّية مُمتازة، مخطّطَة بالذهبِ، وزنها ثلاثة جنيهات ونِصْف، وأرسلت الراهباتِ الإنجليزياتِ بطانةَ المذبحَ [٣]، كما طلب بونيفاس عباءة من رئيس دير Hwaetberht [٤], واستلم عباءتين من ملك كنت Kent[٥]، كما أرسلت باجا إلى بونيفاس مبلغًا كبيرًا من المال قدر بخمسين صولد Solidi [٦].

أدى هذا الدعم بالإضافة إلى التبرعات ودخل وعائدات الكنائس إلى تقدم كبير في أعمال بونيفاس التنصيرية، فبدأ في تأسيس الكنائس النظامية والأديرة على طول الحدود المسيحية التي أصبحت مراكز النشاط التنصيري، وأدت إلى استقرار البعثات[٧]، وتظهر مواقع العديد من البنايات التي أقامها بونيفاس أنها تم اخيارها بشكل استراتيجى، فأقيمت على النتوءات أو داخل حصون الفرنجة على الحدود بين الفرنجة والشعوب الوثنية، وذلك لتوفير الحماية لهذه المنشأت ضد ثورات الوثنيين

(1) Tangl, Epistolae 35, p.60,1.131, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.349, James, The Medieval Missionary, p.96.
(2)The letters of Saint Boniface, p.11.
(3)Squire, St. Boniface, Apostle of Germany, p. 15.
(4) Tangl, Epistolae 76, p.159, II.15-18, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.349.
(5) Tangl, Epistolae 105, p.230,1.27, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.349, James, The Medieval Missionary, p.96, Squire, St. Boniface, Apostle of Germany, p.15.
(6)Tangl, Epistolae 15, p.28,1.2, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.349.
(7) James, Saxon or European, p.856, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.349-350.

المدمرة للمشروعات التنصيرية [١].

اختلفت المصادر التاريخية حول موقف بونيفاس من التنصير في أراضي الساكسون، لصمت ويليبولد مؤرخ حياته عن هذا الأمر، فقد اكتفى بالقول أن بونيفاس أوصى في عام ٧٢١م بالقرب من الحدود الساكسونية، لكن هذا لا يعني أن بونيفاس لم يحاول العمل بينهم ، وسواء أحاول بونيفاس أم لم يحاول فإن مؤرخ حياته لم يذكر تفاصيل عن هذا الأمر، لكن هذا لم يمنع المؤرخين المحدثين من فحص المصادر التاريخية الأخرى الخاصة بتلك الفترة، لمحاولة فهم الحقيقة التاريخية[٢].

اعتمد المؤرخون على عدة رسائل الأولى من بونيفاس إلى الكنيسة الأنجلو ساكسونية تصور رغبة بونيفاس القوية في تحويل الساكسون ، فقد حث فيها رجال الكنيسة على الصلاة والدعاء من أجل التحويل الوشيك للساكسون القدماء " نحن ندعوكم في تواضع .....، أن كلمة الرب قد تمضي للأمام وتحظى بالمجد، إننا نتوسل إليكم أن تبدأوا بالصلاة ( الدعاء) بأن يحول الرب قلوب الساكسون الوثنيين إلى العقيدة الكاثوليكية .... ويجمعهم مع أطفال الكنيسة الأم، كونوا بهم رحماء، لأنهم يقولون نحن وإياكم الآن من دم واحد وعظام واحدة ....وليكن معلومًا لكم أنه في حالة إنجاز ذلك فإنى أملك موافقة وقبول ومباركة

(1) James, Saxon or European, p.856.
(2) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.206-208.

اثنين من أحبار الكرسي الرسولي "[١].

الرسالة الثانية من البابا جريجوري الثالث (٧٣٢-٧٤١م) إلى بونيفاس يهنئه فيها لتحويله حوالى مائة ألف من الوثنيين في جرمانيا بمساعدة شارل مارتل، وتشير الرسالة إلى حملة شارل مارتل الناجحة ضد الساكسون في ٧٣٨م[٢]، والرسالة الثالثة من جريجوري الثالث إلى شعب الساكسون يحثهم بشكل جماعي على قبول المسيحية[٣].

اتفق المؤرخون على رغبة بونيفاس في العمل على تنصير قبائل الساكسون والذي يظهر واضحًا من خلال الرسائل، لكن اختلفوا في حقيقة تنفيذ هذه الرغبة على أرض الواقع، ، فمنهم من رأى أن المهمة لم تنفذ وأن تنصير الساكسون لم يتم إلا في عهد شارلمان (٧٦٨-٨١٤م)[٤]، ومنهم من رأى أن نجاح بونيفاس كان محصورًا في حدود الشعوب التي حررها شارل مارتل من السيطرة الساكسونية، وأنه قام بتقدم محدود إلى ما بعد الحدود، ويذكر أخرون أن البابا أجبر بونيفاس على إلغاء مهمته في ساكسونيا قبل أن يبدأها لأنه رأى أنها شاقة بسبب الظروف السياسية المضطربة، ومنهم من ذكر أن مهمة بونيفاس كانت فاشلة بالرغم من الحماس الذي أبداه إلا أنه كان غير قادر على إنجاز

(١) كانتور، العصور الوسطى الباكرة، صـ٢٩١-٢٩٢ .

(2) James, Saxon or European, pp.856-857.

(3) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.207-208.

(4) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.207-208, Don Fanning, The Dark Ages Church Period of Barbarian invasion, pp.10-11.

المهمة[١].

لكن خالف بعض المؤرخين ذلك بحجة أن سياق الرسائل يدل على اشارات واضحة إلى العمل بين الساكسون، الذين قد تنصر بعضهم، وبعضهم كان على وشك التنصير، وأن عمل بونيفاس في منطقة هيسيا كان مرحلة تمهيدية لاستراتيجية أوسع نوى بها تحويل الساكسون[٢]، وأنه قام ببعض المحاولات فيما بين عامي ٧٣٨-٧٤٥م لتنصير الجاليات الساكسونية في المناطق الحدودية، لكن مهمته لم تكن ناجحة دائماً، وذلك بسبب الحروب المستمرة بين الفرنجة والساكسون في منطقة الحدود بينهما، ففي تلك الفترة نجح كارلومان بن شارل مارتل في غزو ساكسونيا واستولى على حصن التل هسبورج Hesseburg الذي يقع إلى الشمال من ثورونجيا، وذلك في عام ٧٤٣م[٣]، وفي السنة التالية انتزع ضريبة من الساكسون، وأجبر الكثير منهم على التعميد [٤].

كما أن هناك رسالة أخرى من جريجوري الثالث إلى بونيفاس يمدح فيها البابا بونيفاس ويهنئه بنجاحه في ساكسونيا، وتحويل أربعة من النبلاء الساكسون، ويرجح أنها سنة ٧٣٩م، وفيها "جريجوري خادم خدام

(1)Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.207-208.
(2)Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.207-211 .
(3)Annales Regni Francorum , a.743,The Chronicle of Fredegar, ch.27,pp.99-100, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.211-212, Arnold, Boniface in Wild Germany, p. 5.
(4)Annales Regni Francorum , a.744, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.211-212, Arnold, Boniface in Wild Germany, p. 5.

الرب إلى الأخ التقي والرفيق، الأسقف بونيفاس، تحيات رسولية ..... ومن خلال الوعظ جدد ساكسونيا بالأمل الحي وقاد أمراءها ,Eoban Rutwic Wuldericus, and Dedda إلى الضوء الباهر ليصبحوا الآن أناس أشتروا من أجل الرب ليتعرفوا وجه النور الأبدي من خلال الإيمان الذي استلموه منك " [١]، وهذا يدل على وجود أعمال بونيفاس في ساكسونيا في أعقاب حملة شارل مارتل الناجحة ضد الساكسون في عام ٧٣٨م، وأنه أحرز تقدمًا في ساكسونيا فيما بين ٧٣٨-٧٤١م ، وكان لأعماله تأثيرًا سياسيًا واجتماعيًا، وإن كان من المستبعد أن مهمة بونيفاس امتدت إلى عمق الأراضي الساكسونية، لكن في جزء من المناطق الحدودية مع الفرنجة ، وأن بونيفاس على الأقل نجح في تعميد أربعة من نبلاء الساكسون طبقًا لما ذكر في الرسالة [٢].

كما يدل تأسيس بونيفاس لأسقفية بورابورج Buraburg في عام ٧٤١م على تقدمه في العمل بين الساكسون، فأنشأها لتدعيم العمل في منطقة هيسيا وامتداده أكثر إلى ساكسونيا، كما أن خفض مكانتها الكنسية من أسقفية ودمجها في حوالي عام ٧٤٦م في أسقفية مينز Mainz التي أصبح بونيفاس رئيس أساقفتها، ليشرف على مهامها التنصيرية من مسافة آمنة نسبيًا من مقعده الكنسي في مينز الذي اعتلاه في عام ٧٤٧م، يدل على عدم تحقيق الهدف الذي أنشئت من أجله، بسبب الاضطرابات والثورات الساكسونية المستمرة التي حدت من نجاح

(1) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.217-218.
(2)Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.217-225.

عملية تنصير الساكسون، فقد هاجموا مناطق المنصرين وأحرقوا كنائسهم مما أدى إلى تدهور الأمور في المناطق الحدودية بسبب الحروب المستمرة بين قبائل الساكسون والفرنجة [١].

ففي عام ٧٤٣م بعد أن قاد كارلومان حملة ضد الساكسون وهزمهم، وكان التعميد شرط لقبوله استسلامهم – كما سبق ذكره – كان رد الساكسون عنيفًا فقادوا هجومًا انتقاميًا في عام ٧٤٥م[٢]، كان من نتائجه تدمير الساكسون لأجزاء مهمة من ميدان بعثة بونيفاس التنصيرية، فأرسل بونيفاس تقريرًا إلى البابا زكريا عن نتائج هجمات الساكسون على المهمة التنصيرية، تلك النتائج التي اعتبرها البابا كارثية[٣].

كما قام الساكسون لاحقًا بعدة ثورات على الحدود وألحقوا الضرر بأرض الفرنجة، وبالمنشأت الكنسية، وتركزت هذه الإضطرابات في شرق ساكسونيا الأرض المجاورة لبعثة بونيفاس في ثورونجيا، واشتكى المنصرون أتباع بونيفاس من عنف الساكسون، فقد كانوا هدفًا لهم في حالة نشوب أي هجوم على الحدود وكان أعنف هذه الثورات في عام ٧٥٢م ، وفيها حطموا أكثر من ثلاثين كنيسة من كنائس بونيفاس في

(1)Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.226-234.
(2)The Chronicle of Fredegar,ch.31,p.101, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.211-212, Arnold, Boniface in Wild Germany, p. 5.
(3) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.211-213, Arnold, Boniface in Wild Germany, p. 5.

مناطق الهيس الحدودية[١].

قام بونيفاس بإصلاح ما دمرته الثورات الساكسونية، وعلى أثر ذلك انشغل وتأخر عن تقديم التهنيئة للبابا الجديد ستيفن الثاني Stephen II (٧٥٢-٧٥٧م ) الذي خلف البابا زكريا، فكتب له " لأنني قد انشغلت في إعادة بناء الكنائس التي أحرقت من قبل الوثنيين، الذين سلبوا وأحرقوا أكثر من ثلاثين كنيسة من أبروشياتنا وخلايانا"[٢].

مما سبق يمكن أن نستنتج أن طموح بونيفاس امتد إلى تنصير قبائل الساكسون على غرار غيرها من القبائل الألمانية الوثنية، وحثه على ذلك غزو شارل مارتل لساكسونيا عام ٧٣٨م، وأن بونيفاس قام بالعمل فعلًا وأحرز تقدمًا فيما بين ٧٣٨-٧٤١م، هذا الذي جعله يقوم بإنشاء أسقفية بورابورج لمواصلة العمل بين الساكسون، لكن الحروب والثورات بين الفرنجة والساكسون في منطقة الحدود أثرت سلبيًا على نجاح عملية تنصير الساكسون، وجهود بونيفاس الدينية، بسبب العرقلة والمؤثرات التي تجلبها هذه الحروب، فخفض بونيفاس الأسقفية ودمجها في أسقفية مينز عام ٧٤٦م، وتدهورت الحالة لاحقًا فقد كان الواعظ والكنيسة هدفًا للساكسون في حالة نشوب أى هجوم، فخسرت البعثة التنصيرية كثيرًا من إنجازاتها السابقة بسبب تدمير وحرق العشرات من

(1)The Chronicle of Fredegar,ch.35,p.103,Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.212-213,357.
(2)Tangl, Epistolae 108, p.234, II.17-20, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.214-216,357.

الكنائس، وحد ذلك من عمل بونيفاس، وبالرغم من هذا فإنه من الإنصاف أن لا يقودنا ذلك إلى اعتبار أن مهمة بونيفاس بين الساكسون كانت فاشلة، فقد بذل ما في وسعه، وعرض حياته وأتباعه المنصرين لخطر العمل في ظل تلك الظروف الخطيرة.

جهود بونيفاس في إصلاح كنيسة الفرنجة الألمانية

خلف البابا جريجوري الثالث جريجوري الثاني في عام ٧٣٢م، فأرسل بونيفاس الرسل إلى روما لتهنئته واستشارته في بعض القضايا، فاستقبلهم البابا استقبالًا كريمًا، وأرسل معهم الطيلسان البابوي Pallium ليلبسه بونيفاس أثناء الاحتفالات المقدسة، وعند تكريس الأساقفة، وعيّنه رئيسًا لأساقفة ألمانيا Primate بدون أن يخصه بأسقفية معينة، لتقوية يده وتمكينه من تكريس الأساقفة وإقامة الأسقفيات في أي مكان يراه مناسبًا [١].

بتعيين بونيفاس رئيسًا لأساقفة ألمانيا صار الرجل الأول في

(1)Willibald,The life of Saint Boniface, ch.VI, p. 64, The letters of Saint Boniface, p. 7 Butler, The Lives of The Father, p.74, Deanesly, A History of The Middle Church, p. 54, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.71-72.

الطيلسان: هو لباس كنسي عبارة عن كساء أو وشاح من الصوف الأبيض يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن؛ ويختص بالبابا ويمنحه لكبير الأساقفة والمطارنة ويعد رمزًا لسلطان البابا عليهم وتأكيدًا على منحه لهم السلطة القضائية. ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٢٢، الإصلاح الديني، مج ٦،ج١ ، ترجمة عبدالحميد، دار الجيل، بيروت ، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، ١٩٨٨م، ص١٨.

الكنيسة الفرنجية واستغل هذا المنصب للقيام بالتصدي بصرامة لفساد رجال الدين؛ فلم يحصر بونيفاس نفسه في عملية التنصير فقط، بل تطور عمله إلى منظم ومصلح للمؤسسة الإكليروسية الفرنجية، فقام بالتصدي للهراطقة المسيحيين بعد أن رأى انحرافهم عن العقيدة، وعمل بجد لإعادتهم إلى العقيدة الكاثوليكية الرومانية، لرفع كنيسة الفرنجة من حالة الفساد والمخالفة إلى إتباع القوانين الكنسية المقدسة، بعد أن رأى انقسام المسيحيين إلى طوائف ومذاهب مختلفة، وشعر بخطورة هذا الأمر وانعكاس نتائجه ليس على المسيحيين فقط لكن على الوثنيين أيضًا؛ بسبب الجهل والضلال والآراء المتضاربة التي ستؤثر سلبًا على استجابتهم للتحول إلى المسيحية، فالعمل بين الوثنيين وتأسيس كنائس بينهم تم إعاقته بسبب جهل الوعاظ ورجال الدين وفساد الأساقفة [١].

رأى بونيفاس أن جهل الوعاظ وصل إلى حد الجهل بطريقة تعميد الوثنيين، والخلط بين الطقوس الوثنية والمسيحية فقدموا القرابين والأضحية للألهة الوثنية، وابتدعوا امورًا لا تمت بصلة للمسيحية، مما جعلهم غير جديرين بمهمة نشر الإنجيل، وقد اشتكى هذه الأمور إلى البابا، وصدورها من الكهنة والأساقفة الذين يصفهم بالمزيفين الجهلة، المتشردين، الخطاة، الزناة ، القتلة، المتخنثين، اللواط، الكفار، المنافقين

(1)Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.71-72, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part V,1, Laux J., Two Early Medieval Heretics: An Episode in the Life of St. Boniface: The Catholic Historical Review, July 1935, Vol. 21, No. 2 (July 1935), pp. 190- 195, Catholic University of America Press.

.....، الذين يعملون في ظل العصيان والتمرد وإدانة القوانين الكنسية لهم، وسأل البابا وأصدقاءه هل سيتم قبول المعمودية التي تمت وفق هذه الطقوس أم يجب إعادتها، فمن ناحية كان هناك خطر قبول الطقوس الدينية الباطلة، ومن ناحية أخرى كان هناك خطر إثارة الشكوك حول صلاحية الطقوس الدينية التي أديت والتي طبقًا للرواسخ لا يجب أن تكرر، وتلقى بونيفاس ردودًا على أسئلته وكان مدعومًا من البابوية في كل المسائل الشائكة التي تواجهه[١].

زار بونيفاس روما للمرة الثالثة في عام ٧٣٨م، فاستقبله البابا وعينه مندوبًا رسوليًا لألمانيا ( نائبًا عن البابا)[٢]، وهكذا وضع بونيفاس في موقع السلطة العليا، وتم التشاور بينهما فيا يتعلق بتنظيم الكنيسة الألمانية، وتأسيس الكنائس الجديدة ، بالإضافة إلى أهم القضايا والصعوبات التي تواجه بونيفاس في بلاد الجرمان ويبدو أنها كانت الإصطدام مع رجال الدين الفرنجة؛ بسبب عدم خضوع الأساقفة لأوامر وأحكام بونيفاس عليهم، ومن ثم أرسل معه رسائل خاطب فيها البابا كل نبلاء وشعب جرمانيا الذين يسكنون شرق نهر الراين وأمرهم بطاعة

(1)The Letters of St. Boniface, No. XVIII, LIV, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.387-388.

(2)Miriam, Chosen Missionary People, Willibrord, Boniface and the Election of the Angli, p.100, Arnold, Boniface in Wild Germany, p. 5, Stenton F., Anglo-Saxon England, 3rd Edition, Oxford University Press,1971, p.169, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part V,1, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 80-82.

بونيفاس، كما أرسل إلى الأساقفة يأمرهم بطاعة أوامر بونيفاس في أمور الدين وتنفيذ أحكامه وعقوباته عليهم حال عصيانهم وعدم الإقلاع عن كل العادات الوثنية التي رفضوها بموجب المعمودية(١).

رحل بونيفاس من روما، وفي طريق عودته إلى ألمانيا دعي إلى بافاريا لإصلاح بعض الانتهاكات هناك (٢) وكانت أهم الانتهاكات الأساسية التي عانت منها كنيسة الفرنجة بسبب وصول الكهنة الفاسدين غير المتخصصين وغير الأكفاء إلى المناصب الكنسية، وهؤلاء جهلوا وأهملوا الشرائع المقدسة، واتبعوا الممارسات العامة الجاهلة بالمذاهب المسيحية الرئيسية، فعاشوا في أغلب الأحيان مع زوجاتهم، وحملوا السلاح وأراقوا الدماء في مخالفة واضحة للتعاليم الكنسية، واغتصبوا العقارات الخاصة بالكنيسة، والهبات التي كان يتم إيقافها للكنيسة، فعمل بونيفاس على إصلاح كنيسة الفرنجة وتطهيرها من هؤلاء المخالفين، وكان لا يمكن أن ينجز ذلك إلا بدعم وموافقة شارل مارتل(٣).

(1) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.197-198., Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 74, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 80-82.

(2)Willibald,The life of Saint Boniface, ch.VII, p. 69, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p. 74, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp. 84-85.

(3)Willibald,The life of Saint Boniface, ch.VII, p. 69, Tangl, Epistolae 22, pp.36-38, Deanesly, A History of The Middle Church, pp. 54-55, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.387-391, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p. 93.

حاول شارل مارتل إصلاح الكنيسة الفرنجية بعدما زاد نفوذ رجالها وثرواتهم، واستشرى فساد رجال الدين، وتدخلوا في الشؤون السياسية؛ فقام بانتزاع جزء كبير من أراضي الكنيسة استعان به في إعداد جيش قوي من الإقطاعيين، كما أبعد بعض الأساقفة وقام بتعيين أنصاره في الأسقفيات الشاغرة؛ لذلك شاع عنه لاحقًا في الكتابات الكنسية أنه لص سرق الكنائس وخلع الأساقفة وعين أتباعه(١).

كان شارل مارتل مؤيدًا لبونيفاس في مهمة إصلاح الكنيسة الفرنجية، وأوضح بونيفاس في خطاباته مدى اعتماده على مساعدة شارل مارتل، فذكر في إحدى رسائله: " بدون حماية أمير الفرنجة، لا أستطيع أن أحكم شعب الكنيسة، ولا أن أدافع عن القساوسة والشماسة والراهبات، كما لا أستطيع منع ممارسة الطقوس الوثنية وعبادة الأوثان دون تكليف منه بذلك، ودون المهابة والرهبة التي يوحي بها اسمه"(٢).

(1) Oman, The Dark Ages, .295-297, The Cambridge Medieval History, II, p.698, Emille, The History of France, p.19, Henderson E, History of Germany in The Middle Ages, London, 1894, pp.45-46, Sime, History of Germany, p.29, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.353, The letters of Saint Boniface, p.8.

دوسن، تكوين أوربا، دوسن، تكوين أوربا، صـ٢٦١، ترجمة محمد زيادة وسعيد عاشور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٦٧م، صـ٢٦١، الباز العريني، أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية لبنان،١٩٦٨م، صـ٢٥٨.

(2) Munro, Sontag, The Middle Ages 395-1500, pp.76-77.

كانتور، العصور الوسطى الباكرة، صـ٢٩٠.

كما استعان بالبابوية واعتمد على أحكامها الدينية في بعض المسائل والقضايا التي واجهته، وطلب المشورة والنصح والحكم في تلك القضايا، واتضح ذلك جليًا في المراسلات المتكررة التي تمت بينه وبين باباوات روما، وفيها أمروه بإدانة الخاطئين في مجمع كنسي وخلعهم من مناصبهم، ووضعهم تحت كفارة الرهبنة الدائمة(١).

كانت من أهم وسائل بونيفاس لإصلاح الكنيسة الفرنجية ومواجهة القضايا المختلفة والانتهاكات الخاصة برجال الدين، هي عقد المجامع الكنسية بدعم وتعضيد من رؤساء بلاط الفرنجة، الذين أقروا مشروعات الإصلاح التي عرضها بونيفاس، فتم عقد أربعة مجامع كنسية فيما بين ٧٤٢-٧٤٧م تحت سلطتهم وبرئاسة بونيفاس وبحضور أساقفة الفرنجة، تعرض فيها للقضايا الشائكة، منها أخطاء الكهنة اللأخلاقية، وتعدد المناصب الكنسية، ومنح الرواتب لغير أكفاء، وعصيان وتمرد الأساقفة، وميل الرهبان إلى الحياة الدنيوية بمغرياتها والبعد عن القوانين المقدسة، بالإضافة إلى انتشار البدع والهرطقة، وصدرت على أثر ذلك مجموعة من القرارات التي تنظم السلطة الكهنوتية(٢)، فكان هدف بونيفاس مواجهة

(1) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.392, Kylie, The Condition of the German Provinces, pp.37-39.

(2) Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. VIII, pp.74-76, Oman, The Dark Ages, p.324, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.90-103, Deanesly, A History of The Middle Church, p.54-55, Flechner R., St Boniface as Historian: a continental perspective on the organization of the early Anglo-Saxon church: Anglo-Saxon England, Vol. 41 (2013), Cambridge University Press, pp. 52-53 .

كل هذه الأخطاء والمفاسد ومحاولة اتخاذ قرارات حاسمة وملزمة ضدها في هذه المجامع الكنسية التي كانت متوقفة لأكثر من ثمانين سنة [١]، فعمل بونيفاس على إعادة انعقادها؛ حتى تم إصدار مرسوم يقضي بأن تعقد هذه المجامع الكنسية سنويًا، وكتب بونيفاس عن إنجازه في إعادة انعقاد المجامع الكنسية الفرنجية في رسالة إلى البابا زكريا Zacaria (٧٤١-٧٥٢م) [٢].

كان من الأمور التي واجهها بونيفاس وحاول إصلاحها هي هرطقة أدالبيرت Adalbert الذي ادعى معرفة الغيب، وقام بالدجل والشعوذة وأضفى على نفسه المعجزات وأعطى بعض من شعر رأسه وأظافره لأتباعه الذين تجمعوا حوله على أنها آثار مقدسة، وكتب سيرة حياته، كما ظهر مدعي آخر يسمى كليمنت Clement رفض الشرائع والقوانين المقدسة، وأشاع أن المسيح (عليه السلام) ذهب إلى الجحيم لينقذ أرواح

(1) Tangl, Epistolae 51, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.93, The letters of Saint Boniface, p.8.

كانتور، العصور الوسطى الباكرة، صـ٢٩٠.

(2)Tangl, Epistolae 51, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.93, Jarnut J., Bonifatius und die frankischen Reformkonzilien (743–748)', Zeitschrift der Savigny-Stiftung für Rechtsgeschichte,109, Kanonistische Abteilung, 66 (1979), 1–26; Jaschke K.-U., 'Die Gründung der mitteldeutschen Bistümer und das Jahr des Concilium Germanicum', in Festschrift für Walter Schlesinger, ed. by H. Beumann, 2 vols (Cologne: Bohlau, 1973–74), II, 71–136, Guizot F.,The History of Civilization: From the Fall of the Roman Empire to the French Revolution, Trans. William H., Vol.III, New York, 1850, pp.131-132.

أتباعه، كما نشر بعض الأراء التي تتعلق بالقضاء والقدر وتحمل البدعة والهرطقة[١].

واجه بونيفاس هذه البدع والهرطقة في المجمع الكنسي، الذي عقده في ألمانيا بوصفه رئيس أساقفة ألمانيا والمندوب المفوض من قبل البابا وذلك في عام٧٤٢م ، تحت سلطة رئيس البلاط كارلومان الذي حضر المجمع وشجع أهداف بونيفاس لإعادة مراعاة الشرائع المقدسة، وادانة الهراطقة، وحضر المجمع عدد كبير من الأساقفة والكهنة والشماسة ورجال الدين، وفيه تم ادانة كلاً من أدالبيرت وكليمنت، وقام كارلومان دوق ورئيس بلاط الفرنجة بوضعهما في السجن، وأكد البابا حكم بونيفاس في المجمع الكنسي الذي عقده في روما عام ٧٤٥م[٢].

كما أوضح بونيفاس أن من أراد من الأساقفة أن يصلح أو يصحح الأخطاء في أسقفيته فعليه أن يترك مقترح الإصلاح في المجمع الكنسي أمام رؤساء الأساقفة، وكل الحضور لمناقشته، وذلك طبقًا لأوامر البابا

(1)Willibald,The Life of Saint Boniface, ch.VII, pp.72-73, The Letters of Saint Boniface, No. XLVII, Laux, Two Early Medieval Heretics: An Episode in the Life of St. Boniface, pp. 190-195, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.76, Meeder S., Boniface and the Irish Heresy of Clemens: Church History, Vol. 80, No. 2 June 2011, Cambridge University Press on behalf of the American Society of Church History, pp. 251-280.

(2) Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.76, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.96-97, Laux, Two Early Medieval Heretics: An Episode in the Life of St. Boniface, pp. 190-195, Meeder, Boniface and the Irish Heresy of Clemens, pp. 251-280.

التي أقسم بونيفاس للكنيسة الرومانية على تنفيذها[١].

كانت أهم قرارات المجمع الكنسي الذي عقد في ألمانيا عام ٧٤٢م:

- يجب أن تعقد المجامع الكنسية سنويًا مستقبلًا.
- يجب أت تعاد للكنائس والأديرة الأملاك التي أغتصبت منها.
- يجب أن ينقى الأساقفة والكونتات سلطاتهم القضائية من كل الممارسات الوثنية.
- يجب أن يتم إعادة قاعدة القديس بندكت إلى الأديرة.
- يجب أن يمنع رجال الدين من الحرب والصيد والزواج واستخدام الأدوات العسكرية[٢].

حدث بذلك الاصطدام بين بونيفاس وبين رجال الكنيسة الفرنجية؛ فلم يكن بونيفاس من النوع الذي يسمح بتلك التجاوزات السابقة؛ فعمل على تطبيق اللوائح والقوانين الكنسية بصرامة، وتنفيذ التعليمات التي تلقاها من البابوية في روما، لترسيخ القواعد الرومانية تجاه الانحرفات داخل الكنيسة، وكافح ضد الكهنة ورجال الدين ، وطرد من ثبت مخالفته متى كان ذلك ضروريًا وممكنًا[٣]، لذلك واجه اعتراضات ومقاومة شديدة مما أدى إلى فشله أحيانًا كثيرة، فقد وصل بعض من هؤلاء الي مكانة

(1)Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.94.
(2) Bonifac. Epistolae 51,Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.94.
(3)Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part III, VI.

كبيرة، واستعملوا نفوذهم وتأثيرهم على البلاط الفرنجي للوقوف في وجه بونيفاس، الذي لم يتمكن من تنفيذ أحكامه عليهم، فلم يكن من السّهلِ دائماً خلع الكهنةِ الفاسدين فأحياناً تم تأيديهم من ذوي النفوذ ضدّ بونيفاس؛ وأحياناً وَجدوا الحماية في بلاط الفرنجة؛ فالأساقفة مثل ميلو رئيس أساقفة تريف Trier وجيوليبGewilip رئيس أساقفة مينز Mainz لم يبذلا أي جُهدِ لتَتْقِية رُتَبِ رجالِ الدين في أسقفياتهم، وقاوما محاولة بونيفايس الاصلاحية، كما رَفضَ الكهنةُ المَخْلُوعون في أغلب الأحيان أَنْ يُرسَلوا إلى الدير ليُعاقبوا؛ ورغبوا في العَيْش كرجال غير متخصّصين وطَلبوا جزءًا من عائداتِ الكنيسةَ لمعيشتِهم، وطلب الآخرون أن يبرئوا مِنْ ذنوبِهم مِن قِبل البابا وأصرّواَ على أَنْ يُعادَ تنصيبهم؛ وقام آخرون بتحدي الأساقفة وحصلوا على تعينيهم على الكنائسِ أَو المصليات مِن قِبل النبلاء ملاك العقارات التي أقيمت على عقاراتِهم تلك المؤسسات الدينية، كما أن ندرةَ القساوسةِ الجيدينِ جَعل من المستحيل عملياً في بَعْض الحالاتِ طَرْد الفاسدين، ويُبلغُ بونيفايس إجبيرت رئيس أساقفة يورك عن حالة من هذا النوعِ أن كاهنًا مذنبًا قَدْ أُعيدَ إلى منصبه بعد إنتهاءِه مِنْ الكفّارةِ، وطبقاً للقانونِ الكنسي كان يَجِبُ على بونيفايس أنْ يَخْلعَه؛ لكن بينما هو كَانَ الكاهنَ الوحيدَ في منطقة تنصيرية كبيرة جداً، فلم يكن بونيفاس قادرًا على فعل ذلك ليواصل أعماله. كما أن الخوف من تَرويع الناسِ كَانَ إعتباراً آخراً الذي أحياناً

مَنعَ بونيفايس من تَطبيق الصرامةِ الكاملةِ للقانونِ وهذا جعله لا يخلع الكاهن الذي ثبت أنه مذنب وقام بالكفّارةَ [١]، وهذا ما جعل البابا زكريا الذي كان مدركًا أن سلطة بونيفاس مقيدة بسبب مكانة ونفوذ رجال الدين الفرنجة أن يقول له :" إذا فشلت تلك الإجراءات فيمكن على الأقل أن تأخذ راحة من التعب الذي تعانيه، لتحافظ على القانون الكنسي"[٢]، كما نصحه صديقه دانيال أن يتحمل مع الصبر ما لم يستطع تغيره "[٣].

كان من القضايا التي اصطدم فيها بونيفاس برجال الفرنجة هي اغتصاب عقارات الكنيسة الفرنجية من قبل العلمانيين، فعمل على التصدي لها ورغب في السيطرة على كنائس الفرنجة وعلى عقاراتها ودخلها، للانفاق على خدمة الكنيسة وتدعيم مشروعاتها المختلفة من تأسيس كنائس جديدة وإصلاح وترميم التى دمرها الوثنيون، وتلبية احتياجات الأبروشيات التنصيرية والخلايا والجاليات الرهبانية بشكل متزايد، لهذا احتاج لتنظيم العقارات الخاصة بالكنيسة [٤].

كانت الكنيسة تقوم بتأجير عقاراتها بنظام Precaria ما يعني تأجير بحق الانتفاع المؤقت غير الدائم، عن طريق اتفاقيات قانونية من قبل الكنيسة إلى المستأجرين العلمانيين مدة حياتهم ، في مقابل عائدات مادية، ثم تعود العقارات إلى ملكية الكنيسة، لكن حدث أن انتقلت تلك

(1)Tangl, Epistolae 91, Laux, Two Early Medieval Heretics, pp.190-191.
(2)Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.392.
(3)Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.392.
(4)Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.350.

العقارات إلى الورثة، فحاول بونيفاس إعادة سيطرة الكنيسة على هذه العقارات، لكن محاولاته قوبلت بمعارضة شديدة من الفرنجة العلمانيين ورجال الدين الذين كانوا مستفيدين من نظام التأجير، واستطاعوا بنفوذهم امتلاك بعض هذه العقارات الكنسية، كما عارض الكهنة الذين طردهم بونيفاس من مناصبهم الكنسية هذا الأمر، بعد أن عملوا على الحصول على العقارات الكنسية كملاك علمانيين(١).

حاول بونيفاس أن يتخذ قرارات حاسمة فيما يتعلق بالعقارات الكنسية فاصطدم بأصحاب المصالح، لذلك كافح وقام بطرح هذا الأمر في المجمع الكنسي عام ٧٤٢م، وأصدر المجمع قرارًا أنه في حالة موت المستأجر يجب أن تعود الأرض للكنيسة، ويمكن أن تمنح لملك الفرنجة الذي يجب أن يعيدها للكنيسة، وفي حالة تعذر عودتها لابد أن يدفع عنها للكنيسة واحد صولدس سنويًا عن كل عائلة من الفلاحين، وبذلك تستفيد الكنيسة من عائداتها السنوية(٢).

قام بونيفاس بتوزيع عائدات الكنيسة بناء على أمر البابا على أربعة أقسام، الأول لبونيفاس وحده، والثاني يوزع على رجال الدين، والثالث للصدقات، والجزء الرابع لصيانة وبناء الكنائس(٣).

كما قام بونيفاس بجهود كبيرة لانتزاع الأعشار الخاصة بالكنيسة،

(1)Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.351.
(2) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.351.
(3) Tangl, Epistolae 18, p.32, II,11-16, Clay, p.350, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.350.

كما فرض إيجارًا سنويًا على القبائل الموجودة على الحدود وذلك لتأكيد سلطة الكنيسة وإصلاحها ودعم مشروعاتها، وهذا أدى إلى نزاع وكفاح طويل بينه وبين بعض العائلات القوية الفرنجية [١].

أثار بونيفاس مشكلة استيلاء شارل مارتل على أملاك الكنيسة في المجمع الكنسي ليسينز Lessines الذي عقد في ليبتينز Leptines على الشاطىء الأيسر لنهر دندر Dender في مقاطعة هينيجو Hennegau في عام ٧٤٣م، وكان المجمع تحت سلطة رئيسى البلاط كارلومان وبيبن القصير ابني شارل مارتل اللذين واصلا دعم جهود بونيفاس الدينية، وتم عقد المجمع في قصر ملوك الفرنجة، وكان هدفه هو الوصول إلى فهم ثابت فيما يتعلق بملكية الكنيسة، واصلاح رجال الدين، وخرج المجمع بعدة قرارات منها: أنه نظرًا للحرب التي تهدد الفرنجة من الأمم المحيطة، يكون مسموحًا بمغفرة الرب الاحتفاظ لبعض الوقت بجزء من ملكية الكنيسة لدعم الجيش على تلك الشروط وهذه الحالة، مع الأخذ في الاعتبار العناية بالكنائس والأديرة؛ حتى لا تعاني أي فاقة، ولكن في حالة أن عانت الحاجة والفاقة؛ يجب أن تعاد الملكية الكاملة إلى كنيسة الله، ويدفع سنويًا إلى الكنيسة أو الدير كل عقار يموت مالكه الحالي، لتعيد الكنيسه استغلاله[٢].

كان الهدف الآخر لمجمع ليسينز عام ٧٤٣م هو اصلاح رجال

(1) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.354.
(2)Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.98-100.

الدين، وخرج بعدة قرارات منها: يجب على رجال الدين جميعًا أن يقوموا بتعديل العادات والتصرف طبقًا للشرائع المقدسة، وأن يقبل الرهبان قاعدة القديس بندكت وطاعة البابا، وعلى المطارنة أن يعقدوا اجتماعًا سنويًا مستقبلًا، وأن يزور كل أسقف أبروشيته مرة كل عام، وأن يرفع الأساقفة الذين لا يستطيعون السيطرة على كهنتهم الأمر إلى رؤساء الأساقفة(١).

هكذا بفضل حكمة ومهارة بونيفاس كانت الأمور تمر بشكل تدريجي من حالة الفوضى إلى الانضباط والاستقرار، فواصل الاصلاح بشكل هادىء وبعينه اليقظة حاول اصلاح الشؤون الإكليروسية الألمانية، وجعلها خاضعة لرعاية البابا وسلطة الكنيسة الرومانية، ذلك الأمر الذي كان يؤكد عليه في كل مرحلة من مراحل الاصلاح.

تصدى بونيفاس أيضًا لتوارث السلالات الكبيرة المعروفة المناصب الكنسية، حتى أصبحت تحتكرها وتورثها، فحدث بينه وبينهم نزاعات، وانتقل هذا النزاع إلى بلاط الفرنجة، مما أدى إلى كفاحه المستمر الذي أكسبه العديد من الأعداء المعارضين بسبب دفاعهم عن مناصبهم الكنسية، وحرص بونيفاس على تنفيذ القانون الكنسي بشكل مثالي(٢).

اثار بونيفاس بعض الممارسات التي قام بها رجال الكنيسة الفرنجية منها الزواج وحمل السلاح، وصدر في المجمع الكنسي الذي عقده بونيفاس عام ٧٤٢م مرسومًا بأنه يمنع رجال الدين من الحرب

(1)Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.100-101.
(2)Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.354.

وارتداء ملابس الحرب العسكرية أو حمل السلاح أو المطاردة أو الصيد[١].

كان نجاح بونيفاس واضحًا بعد صدور هذا القرار، فقام بخلع جيوليب Gewilib من أسقفية مينز عام ٧٤٥م؛ لأنه حمل السلاح وانضم إلى حملة كارلومان ضد الساكسون وأراق الدماء انتقامًا لمقتل أبيه ، وبعد ادانته من قبل بونيفاس نفذ الحكم وسلم أسقفيته[٢]، من الجدير بالذكر أنه هذا النجاح لم يكن دائمًا؛ فبالرغم من صدور قرارات المجمع الديني إلا أن الكثير من رجال الدين لم يلتزموا بها، فقد قام هلدجار Hildegar أسقف كولون Cologn بتجاهل هذا القرار، وانضم إلى القوات العسكرية وقتل أثناء حملة بيبن القصير على بلاد الساكسون في عام ٧٥٣م [٣]، كما قتل ميلو أسقف تريير Milo of Trier وهو يصطاد ويطارد خنزيرًا [٤].

نلاحظ أنه بالرغم من الإحباط الذي شعر به بونيفاس بسبب العداوة واللا مبالاة من رجال الفرنجة في مراحل كثيرة من مراحل مهمته، والذي ظهر واضحًا في رسائله إلى البابا[٥]، وفي رسائله إلى أصدقائه الأنجلو ساكسون، التي يذكر فيها كم هو يعاني في مهمته من الوثنيين

(1) Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.94.
(2)Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.354-355.
(3)Annales Regni Francorum , a.753, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.354-355.
(4) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.354-355.
(5) Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.95.

، ومن المسيحيين الخاطئين، وحتى من القساوسة فيما يتعلق بالأخلاق الفاسدة، وتدل كلماته على الأسى والحزن الذي يشعر به فيصف نفسه أنه في منفى[١]،وهذا كان كفيلًا أن ينهي مهمته بالفشل، إلا أنه كان لديه الاستعداد للعمل في ظل تلك الظروف، فاستمر في محاولة إصلاح الكنيسة الألمانية التي سقطت إلى مستوى متدني من الإتباع والإلتزام الكنسي، لخلق مؤسسة كنسية قوية تتبع تعاليم الكنيسة الرومانية.

التزم بونيفاس بالصرامة تجاه التجاوزات ولم يكن هذا موجهًا ضد رجال الدين الفرنجة فقط بل امتد إلى أتباعه من الأنجلو ساكسون الذين كانوا يعملون في الوعظ والتنصير بين القبائل الألمانية، فقام بطرد أربعة من أتباعه المنصرين في ثورونجيا وهم Hunread,Torchtwine, Berehthere, and Hunraed بسبب أنهم كانوا من الزناة، فطردهم من ثورونجيا، وحكم على كاهن من الفرنجة بنفس الحكم مع الكفارة لنفس السبب، لكنه اعتلى مرة أخرى من قبل الفرنجة في أبروشية جديدة ضمن أراضي بونيفاس، وتحمل بونيفاس هذا الوضع بسبب قلة الوعاظ المدربين[٢].

(1) Miriam, Chosen Missionary People, Willibrord, Boniface and the Election of the Angli, p.102, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.82, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.401.

(2) Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.392-393.

ربما كان الزنا الذي تصدى له بونيفاس لا يعني أكثر من زواج الكهنة ورجال الدين ذلك الأمر الذي كانت الكنيسة تحرمه وتدينه بشدة، وربما تزوج المنصرون من نساء =

بالرغم من ولاء بونيفاس الشديد إلى البابوية إلا أنه لم يتردد في الاختلاف مع الحبر الأعظم في بعض النقاط المعينة، ويذهب إلى حد أن يلمح بشكل صريح أن صعوباته الأكبر تأتي في تعامله مع رجال الدين الرومان(١)، ويذكر أن البابوية اشتركت في السيمونية ــ وهي بيع المناصب الكنسية ــ مع رجال الدين الفرنجة(٢).

امتد عمل بونيفاس الاصلاحي وتأثيره إلى إنجلترا، فلم يتوان عن استخدام الحزم تجاه أي سلوك غير أخلاقي أو انتهاك لتعاليم المسيحية، ويظهر ذلك جليًا في الرسالة التي أرسلها عام ٧٤٥م إلى إثيلبولد(٧١٦-٧٥٧م) Ethelbald ملك مرسيا Mercia الذي كان محبوبًا وعادلًا لكنه لطخ تاريخه بالرغبات الشاذة وامتنع عن الزواج ومارس الرذيلة، واقتفى أثره العديد من أتباعه، فأرسل له بونيفاس رساله يخاطبه فيها وكل الملوك الإنجليز " إلى إثيلبولد العزيز، وإلى كل الملوك المفضلين ملوك الإنجليز الآخرين، في حب السيد المسيح، بونيفاس رئيس الأساقفة، والمندوب البابوي من كنيسة روما إلى كل ألمانيا ، متمنيًا لكم الصحة الدائمة ببركة المسيح ..... ولا يصح أن يتحلى الوثنيون الذين لا يعرفون الله بالعفة أكثر منك أيها الملك المسيحي.....، ولهذا السبب ابني المحبوب،

---

=

محليات ليقيموا روابط قوية بينهم وبين تلك القبائل ويحصلوا على الحماية والدعم، تلك الأمور التي كانت ضرورية لنجاح مهمتهم في الأراضي البعيدة.

Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.392.

(1)) The Letters of Saint Boniface, No. XL.

(2)) The Letters of Saint Boniface, No. XLVI.

نتوسل بالدعوات الآبوية الحارة أن لا تحتقر نصيحة آبائك الذين يناشدونك بحب الله وبقلق ودون مقابل، إلا مصلحة الملك الجيد، تصحيح هذه الجرائم التي تم الإشارة إليها.... "(١).

يحتج بونيفاس بشدة في الرسالة على ممارسات الملك ويوجه له التوبيخ الحاد على هذا العمل المدان حتى بين الوثنيين، الذين يتحلون بالعفة، ثم ينصحه بالإبتعاد عن هذه الأمور المذمومة التي عاقبتها مذمومة وخطيرة .

كما كتب بونيفاس رسالة إلى كل الأساقفة والكهنة والشماسة والرهبان والراهبات، وكل شعب إنجلترا يناشدهم فيها بتعظيم الله وحبه المقدس والتمسك القوي بالصلاة المقدسة لاستجداء رحمة الله، وكتب إلى كاثبرتCuthbert رئيس أساقفة كانتربوريCanterbury يذكره فيها بواجباته ويهدده فيها بإبلاغ البابا عن أي تجاوزات ويذكّره أنه مكلف من قبل البابا بوصفه مندوبًا عنه، وأن البابا أخذ منه القسم أن يحاط علمًا مع حق التصرف بين الأمم المجاورة، وطلب من كاثبرت أن يضبط سلوك رجال الدين والراهبات بالحزم اللازم، وفي نهاية الرسالة يقول له: " دعنا نموت من أجل القوانيين المقدسة لآبائنا، لنصل معهم إلى الميراث الآبدي، حتى لا نكون كلاب خرساء، وحراس نائمون" (٢).

(1) The Letters of Saint Boniface, No. LVII, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.80, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.107-108.

(2)Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.82, Kirby, D., Earliest English Kings, London: Routledge, 1992, pp.135-136, Clay, in =

وبناء على ذلك قام الملك إثيلبولد وكاثبرت بعقد مجمع كنسي في عام ٧٤٩م؛ لمناقشة القضايا وإتخاذ قرارات حاسمة لإصلاح الانتهاكات المختلفة(١).

بذلك نرى أن بونيفاس حارب بعنف ضد الفساد والممارسات السيئة، وتصدى بحزم للانتهاكات الكنسية، وتابع الأساقفة والكهنة، وعانى في مهمته من الوثنيين والمسيحيين الخاطئين والقساوسة الفاسدين على حد سواء، لكنه تابع مهمته بقوة وحماس، وتعامل بحزم مع الخاطئين، ولم يتوان عن اتخاذ الإجراءات اللازمة وتطبيق القوانين الكنسية ضد المخالفين، حتى الملوك حملهم على التمسك بالتعاليم الكنيسة الرومانية الصارمة.

تأسيس بونيفاس الأسقفيات والأديرة

كانت الإضافة الفعالة إلى الوعظ والتنصير هي تأسيس بونيفاس العديد من الأسقفيات والأديرة للمتحولين الجدد، وللمسيحيين القدامى، فعند زيارته إلى بافاريا عام ٧٣٨م لاحظ وجود أسقفية واحدة وهي باسو Passo فأسس ثلاثة أسقفيات أخرى, هي سالزبورج Salzburg وفريزينين Freisinghein وراتسبون Ratisbon وقسم الأراضي البافارية

=

The Shadow of Death Saint Boniface, pp.355, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.108-109.

(1) Anglo-Saxon Chronicle, 742.p.336, Campbell, James The Anglo-Saxons, London: Penguin Books. 1991, p.100, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.107-108.

إلى أربعة أبروشيات جعلها تحت أربعة من الأساقفة، وأكد البابا هذا العمل وصدق عليه في ٢٩ أكتوبر عام ٧٣٩م [١].

كما أقام بونيفاس كثيرًا من الأديرة التي خضعت للنظام البندكتي الصارم، منها هيرسفيلد Hersfeld وأورثوربف Orthorpf في ثورونجيا وأشهرها كان دير فولدا Fulda على نهر فولدا الذي دفن فيه لاحقًا(٢)، وطبقًا للراهب إيجيل Eigil مؤلف حياة شتورم Vita Sturmi، فإن

(1)Willibald,The life of Saint Boniface, ch.VII, pp. 69-71, Tangl, Epistolae 45, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp. 74-75, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p. 85.

(2)Thompson, History of The Middle Ages, p.113, James A., The Medieval Missionary: A Study of the Conversion of Northern Europe A.D.500-1300, New York&London ,1936, pp.90-91, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p. 104.

ينسب النظام البندكتي إلى القديس بندكت (٤٨٠- ٥٤٣م) الذي وضع أساس هذا النظام في الدير الذي أسسه في مونت كاسينو بالقرب من نابلي بإيطاليا عام ٥٢٩م، وصار النظام البندكتي الذي يقوم على أركان ثلاثة هي إنكار الذات والطاعة والعمل يسود الأديرة الغربية، وكان هدف هذا النظام أن يضمن الخلاص لأرواح أعضائه، مع الاكتفاء الذاتي اقتصاديًا وسياسيًا وروحانيًا، واستند نظام الدير على الدستور البندكتي الذي يضمن للدير وأعضائه حياة غاية في التنظيم والإلتزام الصارم بتقسيم ساعات اليوم بين العبادة والعمل والتأمل والقراءة، وكان الرهبان ينتخبون مقدم الدير لمدى الحياة، وتكون له السلطة المطلقة على حياة وأرواح الرهبان الذين تحتم عليهم أن يلتزموا بأعباء شديدة الوطأة وبالزهد والطاعة لمقدم الدير الذي تستند سلطته المطلقة على مبادىء النظام الكنسي. عن ذلك بالتفصيل أنظر: كانتور، العصور الوسطى الباكرة، ص ٢٥٩-٢٦٨، سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ج٢، النظم والحضارة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١م، ص ٣١-٣٥.

بونيفاس أرسل تلميذه شتورم إلى البرية في وقت ما من عام ٧٤٠م ؛ للبحث وإيجاد مكان ملائم لصومعته كناسك، فاختار شتورم في البداية مكانًا معينًا؛ لكن رفض بونيفاس هذا المكان؛ لأنه ليس بعيدًا بالقدر الكافي لخلق حياة رهبانية بندكتية مثالية بعيدة عن مباهج الحياة، لذا استمر شتورم في البحث حتى اكتشف مكانًا على ضفاف نهر فولدا في مدينة فولدا الألمانية حاليًا، على بعد أربعة وخمسين ميلًا جنوب شرق كاسيلCassel [١].

في ذلك الوقت كانت المنطقة عبارة عن غابة برية واسعة، فتم الحصول على منحة الأرض من رئيس البلاط الفرنجي بيبن القصير، وبدأ شتورم العمل في تأسيس الدير تحت إشراف وتوجيه بونيفاس، وتم اكتمال البناء عام ٧٤٤م ، وعيّن بونيفاس شتورم رئيسًا للدير بعد أن أرسله إلى روما ليتعلم القانون البندكتي في مونت كاسينو Mont Cassinoقاعدة القديس بندكت ليصبح على درجة من الكفاءة التي تؤهله لمنصب رئيس الدير، وأصبح ستورم أول رئيس لدير فولدا وعمل بنجاح حتى ارتفع عدد الرهبان تحت رئاسته إلى ٤٠٠٠ راهب، وحمل ستورم هذا المنصب من عام ٧٤٧م حتى وفاته ٧٧٩م[٢].

(1) Eigil, Vita Sancti Stumi Primi Abbatis Fuldensis, in Sidera Germaniae, pp. 5-24, in Monumenta Gernurniae Historica, Scriptores, vol. ii, pp. 366-77, Talbot C. H., The Anglo-Saxon Missionaries in Germany, pp.183-189, Deanesly, A History of The Middle Church, pp. 53-54.

(2) Eigil, Vita Sancti Stumi Primi Abbatis Fuldensis, in Sidera Germaniae, pp. 5-24, in Monumenta Gernurniae Historica, =

اهتم بونيفاس اهتمامًا كبيرًا بدير فولدا؛ فجعله معفيًا من أي تدخل للأساقفة ويخضع خضوعًا مباشرًا إلى البابا، وارتفعت مكانة الدير في السنوات اللاحقة وحمل لواء الاصلاح والتعليم في غرب أوربا(١).

قام بونيفاس بتأسيس أديرة أخرى؛ ففي عام ٧٤٦م أقام دير فرتزبورج Wurtzburg في فرانكونيا، وقبل ذلك أسس دير بورابورج Buraburg في منطقة الهيسHesse وديـر إيرفورت Erfurt في ثورونجيا، ودير Eichstatt في بافاريا، قُرْب حدود السلاف الوثنيين وهذه الأديرة كانت إضافات كبيرة إلى تلك التي أسسها سابقًا في فريتزلار Fritzlar وأردوف Ordofe في أراضي الهيسيين، وكلها كانت خاضعة للنظام البندكتي وأصبحت تلك الأديرة لاحقًا مراكز تعليمية وأسهمت في نهضة حضارة غرب أوربا في العصور الوسطى(٢).

---

=

Scriptores, vol. ii, pp. 366-77, Talbot, The Anglo-Saxon Missionaries in Germany, pp.181-202, James, The Medieval Missionary: A Study of the Conversion, p.91, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p. 105, Munro, The Middle Ages 395-1500, p.77.

(1)The Letters of Saint Boniface, No. LXXI, LXXIII, p.16, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.79, Deanesly, A History of The Middle Church, p. 53. James, The Medieval Missionary: A Study of the Conversion, pp.91-92, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p. 105, Munro, The Middle Ages 395-1500, p.77.

(2) Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp. 74-75, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p. 105, James, The Medieval Missionary, p.91.

استعان بونيفاس بالكنيسة الإنجليزية الأنجلو ساكسونية في ارسال الرهبان والراهبات، فأرسلت عددًا من الرهبان الذين أصبحوا بعد ذلك من رؤساء الأديرة المعروفين، ومنهم Witta, Wigbert, Wunnibald, Burchard, Willibald , Lulus [١]، كذلك استجابت بعض الراهبات لدعوة بونيفاس ومنهن Thecla, Walburg, Bertigita, Chunigrat, Chunigild, Contruda, Lioba، لذلك أقام بونيفاس عدة أديرة للراهبات في ثورونجيا وبافاريا ومناطق أخرى[٢].

أنعش وصول الرهبان والراهبات الأنجلو ساكسون العمل التنصيري الذي بدأ يتطور بين القبائل الألمانية، ومكن بونيفاس من استمرار العمل بجد ونشاط في تأسيس الكنائس النظامية والأديرة، هذه المؤسسات التي يستطيع المنصرون أن يقيموا فيها للراحة والملجأ والحماية، وكان الرهبان في تلك الأديرة يعولون أنفسهم من عمل أيديهم فكانوا يشتغلون بالعمل كما بالدين والصلاة طبقًا لنظام بندكت، وعاشوا على حدود الوثنيين فقراء معدمين يكفون أنفسهم من الغذاء بالكاد، ولا يستطيعون الحصول على الكساء ما لم يتم مساعدتهم[٣]، وقد ذكر بونيفاس ذلك "رجال الدين

(1) Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.79, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.106.

(2) Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.79, Deanesly, A History of The Middle Church, p. 54, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.106, Kylie, The Condition of the German Provinces, pp.37-39, James, The Medieval Missionary, p.91.

(3)Willibald,The Life of Saint Boniface, ch.VI, p.66, ch. VIII, p.78-79, Liudger, Vita Gregorii, ed., Holder-Egger, MGH, SS 15,

=

التابعين لي على الحدود الوثنية في فقر شديد، يمكن أن يحصلوا على الخبز لأنفسهم، لكن لا يستطيعون الحصول على الملابس ما لم يتم مساعدتهم من ربع آخر، حتى يتمكنوا من المثابرة وتحمل مشاقهم" (١). ومن الجدير بالذكر أنهم اندمجوا في ألمانيا مع سكان الحدود والنسيج الاجتماعي والسياسي، وتفاعلوا مع السياسية الدينية والعسكرية لمملكة الفرنجة، مما كان له أثر في نجاح مهامهم التنصيرية (٢).

قضى بونيفاس عدة سنوات رئيسًا لأساقفة ألمانيا دون أن يستقر في أسقفية معينة، فرأى أن كولونCologne أسقفية مناسبة في بادىء الأمر لكي تكون مقرًا لمطرانيته الألمانية، وأراد دمج أسقفيات كل من إيرفورتErfurt ومينز Mainz وأترخت Utrecht وبورابورج Buraburg وفرتزبورج Wurzburg في أسقفية كولون وتكون تحت سيطرته، وتصبح المركز الرئيس الذي يشرف على أعماله التصيرية بين قبائل الفريزيان والهيس والساكسون، وأكد البابا زكريا ذلك فجعل كولون مقعدًا له في عام

=

Hanover, 1887, ch. 2؛ Kylie, The Condition of the German Provinces, pp.29-39, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.106, James, Saxon or European? p.855, James, The Medieval Missionary, pp.91-98.

(1)Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.119-120.

(2) James, Saxon or European? p.856, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp.79-80, 83, James, The Medieval Missionary, pp.91-93.

٧٤٢م[١]، لكن عندما تم خلع جيوليب Gewilib من أسقفية مينز عام ٧٤٥م؛ أخضع البابا لها أسقفية كولون بالإضافة إلى ورمز Worms وأوترخت Utrecht وتونجر Tonger وسباير Spire ، وكل الكنائس التي أسسها بونيفاس وكانت من قبل تخضع لأسقفية ورمز وهي ستراسبورج Strasburg وأجسبورج Augsburg وكونستانس Constance، وكور Coire، وهكذا أصبحت مينز العاصمة المطرانية لكل ألمانيا، وقام بيبن القصير دوق الفرنجة بتعيين بونيفاس رئيسًا لأساقفة مينز عام ٧٤٧م ووصدق البابا زكريا على ذلك، وجعل لمينز السيطرة والسلطة القضائية على كل أسقفيات ألمانيا[٢]، وبالرغم من أنه لاحقًا قد ارتفعت العديد من الكنائس الأخرى إلى موقع رئاسة الأسقفية، إلا أن مينز احتفظت دائمًا بالسلطة الدينية والأسبقية على كل ألمانيا[٣].

بذلك أصبحت منطقة واسعة من ألمانيا تحت سلطة بونيفاس القضائية، وفتح ذلك ميدانًا للعمل الإكليروسي الذي يرضي طموحات بونيفاس، الذي كان يمتلك من الصفات الشخصية والقوة والشرف والدعم ما يؤهله للوصول إلى هذه المكانة الرفيعة.

(1)Tangl, Epistolae 60, p.124, II,23-27, Clay, p.350, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, pp.263-264.

(2)Deanesly, A History of The Middle Church, p. 54, Tangl Epistulae, letter 88, The Letters of Saint Boniface, 142; Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part V, 1, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.102.

(3) Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.79, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.102.

دور بونيفاس في التحالف بين البابوية والأسرة الكارولنجية:

وصل ملوك الفرنجة من الأسرة الميروفنجية خلال القرن السابع الميلادي إلى درجة كبيرة من الضعف وفقدوا أهليتهم وكفاءتهم للمنصب الملكي وتحولوا إلى دمى، فتولى رئيس البلاط الوصاية على الملك والمملكة وأصبح الرجل الأول في المملكة وصاحب السلطة الفعلية فيها، واستطاع رؤساء البلاط من الأسرة الكارولنجية بعد سلسلة من الحروب الأهلية الانتصار على منافسيهم على هذا المنصب، وجعلوه وراثيًا في أسرتهم بعد معركة تستري Testri عام ٦٨٧م [١]، واتخذ رئيس البلاط من الأسرة الكارولنجية بيبن هريستال لقب دوق الفرنجة، كما دعي رئيس الفرنجة، وأرخت الوثائق بسنوات حكمه جنبًا إلى جنب مع ملك الفرنجة، وسيطر على ملك الفرنجة وبلاطه، وتولي قيادة الجيش، وبذل جهوده لإعادة الوحدة السياسية لمملكة الفرنجة في الداخل والخارج، ومنذ ذلك الوقت بدأت تظهر انجازات رؤساء البلاط الذين تولوا هذا المنصب بالوراثة ، وورثوا مهامه وواصلوا حكم مملكة الفرنجة حكمًا فعليًا ولم يكن ينقصهم إلا اللقب الملكي[٢].

(1)The Chronicle of Fredegar, 5, pp.84-85, Annales Mettenses, 689, Monumenta Germaniae Historica, Scriptores 1 (MGH SS1), ed. Pertzii G., Hannoverae, 1826, p.316, Oman, The Dark Ages, pp.260-261, Perry, The Franks, pp.228-229, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.40-41, Hallam H., View of The State of Europe during The Middle Ages, vol.1, London, 1826, pp.7-8.

(4) Perry, The Franks, pp.228-229, Munro, The Middle Ages 395-1500, pp.74-75.

=

رأينا من خلال ما سبق ما كان من دعم ومساعدة رؤساء البلاط في مملكة الفرنجة لمشروعات البابوية الدينية التي كلفت بونيفاس بتنفيذها بين القبائل الألمانية، وقد كان بونيفاس الأداة التي استطاعت البابوية من خلالها الوصول إلى مملكة الفرنجة والدخول بعمق إلى أراضيها ولمس نقاط القوة والضعف فيها، وتوجيه السياسة الدينية ومحاولة السيطرة على كنيسة الفرنجة من خلال اصلاح المفاسد وتأكيد خضوعها للقوانين الكنسية الرومانية، والاعتراف بالتبعية للبابوية، ولم يكن ذلك يتم بدون مساعدة وتدعيم رؤساء البلاط، الذين أردوا اصلاح الكنيسة الفرنجية مما استشرى فيها من فساد، وعملوا على تنصير القبائل الوثنية الألمانية لنشر المسيحية واخضاع القبائل الحدودية لسيادة الفرنجة بجذبهم للمسيحية من خلال البعثات التنصيرية بعد أن حاولوا إخضاعهم بالقوة عدة مرات من خلال الحملات العسكرية.

حدثت خلال الفترة التي كلفت فيها البابوية بونيفاس بالعمل بين القبائل الألمانية شرق الراين بعض الأحداث السياسية في إيطاليا أدت إلى طلب البابوية المساعدة من مملكة الفرنجة التي أثبتت قوتها بعد أن نجحت في توسيع حدودها واخضاع القبائل الألمانية التي تقع على حدود

---

=

عن أصل منصب رئيس البلاط وطبيعته وتطور مهامه في مملكة الفرنجة بالتفصيل أنظر: وفاء مختار غزالي، رؤساء البلاط في مملكة الفرنجة الميروفنجيين من عام ٦٣٨-٧٥١م، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ٨٠، ج١، يناير ٢٠٢٠م، صـ ٣٢٣-٣٨١م .

مملكتها، فقد قام ملوك اللومبارديين في إيطاليا بمهاجمة أملاك البابوية واستولوا على العديد منها وحاصروا روما عدة مرات(١).

لم تطلب البابوية المساعدة من الامبراطورية البيزنطية لأن العلاقات بينهما في ذلك الوقت كانت سيئة للغاية بسبب السياسة الدينية المعروفة بـاللا أيقونية التي اعتنقها الأباطرة البيزنطيين من الأسرة الأيسورية، التي تنبذ وتحرم عبادة الصور والأيقونات، وكانت هذه السياسة تخالف معتقدات البابوية في روما التي تقدس الصور والأيقونات، وهذا الاختلاف بينهما أدى إلى الإنشقاق بين الشرق والغرب، فعقد البابا جريجوري الثاني (٧١٥-٧٣١م) مجمعًا دينيًا أنزل فيه اللعنة

(1) Neii c., The Lombards the Ancient Longobards, Cambridge, 1995, p.1-30, Hallam, View of The State of Europe, pp.9-10, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.82-84.

كان اللومبارديون أخر الشعوب الجرمانية التي غزت الامبراطورية الرومانية واستقرت داخل أراضيها، فاتجهوا إلى إيطاليا عام ٥٦٨م، واستطاعوا الاستيلاء على معظم أراضيها بعد حصار دام ثلاث سنوات، واتخذوا بافيا عاصمة لمملكتهم الجديدة التي أخذت منذ ذلك الوقت في الاتساع السريع. عن تفاصيل أكثر عن اللومبارديين وصراعهم مع البابوية في روما . أنظر :

Paul The Deacon, History of The Langobards, Trans. Foulke W., University of Pennsylvania, Philadphia, 1907, Neii, The Lombards, p.1-30, Oman, The Dark Ages, p.297, Perry, The Franks, p.275.

محمود الحويري، اللومبارديون في التاريخ والحضارة، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م، صـ١-١٣٠، سانت موس، ميلاد العصور الوسطى، ص٣٣١-٣٣٤، وفاء مختار غزالي، السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطى، دار الآفاق ، القاهرة، ٢٠١٣م، صـ١٣٦-١٥١.

على كل من حارب الصور والأيقونات[١]، ورد الامبراطور البيزنطي ليو الأيسوري (٧١٧-٧٤١م) بمرسوم أصدره في عام ٧٣١م حرم البابوية بموجبه من أملاكها في صقلية وجنوب إيطاليا، كما سلخ الكراسي الأسقفية في هذه المناطق من نفوذ البابا الديني والقضائي وضمها إلى بطريرك القسطنطينية [٢]، واستمر العداء واضحًا بعد ذلك فأرسل الامبراطور ليو الثالث الأيسوري أسطولًا ضخمًا في العام التالي ٧٣٢م لإلقاء القبض على البابا جريجوري الثالث الذي خلف البابا جريجوري الثاني، لكن تحطم الأسطول لتعرضه للعواصف البحرية الشديدة، وبعدها ترك الامبراطور البابوية وشأنها وابتعدت البابوية عن الامبراطورية البيزنطية، وولت وجهها تجاه الغرب الأوربي[٣].

منذ ذلك الوقت بدأ الباباوات يبحثون عن حليف قوي يمكنهم الاعتماد عليه بدلًا من الامبراطورية البيزنطية التي انفصلت عنها، ووجدوا ضالتهم في رؤساء البلاط في مملكة الفرنجة الذين أثبتوا ولاءهم

(1) Vasiliev A., History of The Byzantine Empire, Madison, 1952, pp.258-259, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.74.

ديفز، أوربا في العصور الوسطى، ترجمة عبدالحميد محمود منشأة المعارف، ١٩١١م، صـ ٤٩.

(2)Vasiliev, History of The Byzantine Empire, pp.258-259.

سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ج١، التاريخ السياسي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٧٥م، ص١٥٢-١٥٤.

(3) Oman, The Dark Ages, pp.284-285.

سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ج١، ص١٥٢-١٥٤.

وإخلاصهم للبابوية، مما خلق رابطة قوية بين الطرفين من خلال أعمال بونيفاس التي كانت تتم بأوامر من البابوية واستجابة من رؤساء البلاط مما جعل البابوية تتدخل تدريجيًا وتؤثر في توجيه السياسة الفرنجية[١].

اعتبرت البابوية أن شارل مارتل بما قام به من مجهودات لخدمة المشروعات المسيحية وما أحرزه من انتصار على المسلمين في معركة بواتييه Poietiers عام ٧٣٢م/١١٤هـ المعروفة ببلاط الشهداء[٢]، قادرًا على حمايتها ضد أعدائها اللومبارديين في إيطاليا الذين أغاروا على روما واستولوا على الممتلكات البابوية؛ لذلك أرسل البابا جريجوري الثالث إلى رئيس البلاط شارل مارتل أكثر من رسالة يشتكي فيها بمرارة من

(1) Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p. 80, Munro, The Middle Ages 395-1500, pp.101-102.

سانت موس، ميلاد العصور الوسطى، ص٣٣٤-٣٤٠.

(٢) ابن عذاري المراكشي:( أبو عبدالله أحمد بن محمد )، المتوفي نحو٦٩٥هـ/١٢٩٥م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، تحقيق ومراجعة كولان ج، وليفي بروفنسال، باريس، ١٩٤٨م، صـ٥١، ابن خلدون: (عبدالرحمن بن محمد) ت.٨٠٨هـ / ١٤٠٦م، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج٤، بيروت، ١٩٥٩م، صـ٢٥٨، المقري:( شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني) ت.١٠٤١هـ/١٦٣١م، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج٣، بيروت، ١٩٦٣م، صـ١٥.

Paul The Deacon, History of The Langobards, pp.296-297, Einhardi, Vita Karolimagni, ch. II, pp.3-4؛ Perry, The Franks, pp.260-261, Strauss, Moslem and Frank, vol.1, p.121, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp. 74-75, The letters of Saint Boniface, p.8, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.75-79

اعتداءات اللومبارديين، الذين اغتصبوا أموال كنيسة القديس بطرس وحطموا أسوارها، ويطلب منه أن يسرع لنجدة المدينة المقدسة(١).

كان شارل مارتل قد ارتبط بعلاقات وثيقة مع البابوية ودعم سياستها الدينية في بلاده – كما اتضح سابقًا– وأسبغ حمايته على بونيفاس وشجع مشروعاته التنصيرية بين القبائل الألمانية، حتى قويت العلاقات بينهما، لذلك حاول أن يستجيب لنداء البابا ويتدخل لحماية الكنيسة الرومانية لإنهاء المشاكل بينها وبين اللومبارديين، لكنه في نفس الوقت لم يكن يرغب في التدخل عسكريًا في إيطاليا، حفاظًا على قواته من ناحية، وللصداقة التي تجمع بينه وبين ليتوبراند Luitprand (٧٢١–٧٤٤م) ملك اللومبارديين من ناحية أخرى، لذلك عمل على حل المشكلات بالتفاوض والوساطة لدى ليتوبراند حتى يوقف اعتداءه على مدينة روما والممتلكات البابوية(٢).

---

(1) Fredegar Continuator, 22, p.96, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.83-84, Mckilliam, A chronicle of The Popes, Londen, 1912, p. 128, Perry, The Franks, p.275, Oman, The Dark Ages, p.297.

تكررت رسائل البابا لشارل مارتل يطلب فيها المساعدة ضد اللومبارديين، وفي الرسالة الثانية يقول: "في مأساتنا العظيمة اعتقدنا أنه من الضروري الكتابة إليكم للمرة الثانية؛ معتقدين أنه من منطلق حبكم لابن القديس بطرس أمير الحواريين، ولنا، من الوقار أن تطيعوا أوامرنا في الدفاع عن كنيسة الله وشعبه المختار" .

Thatcher O., A Source Book for Medieval History, New York, Chicago and Boston, 1905, p.102.

(2) Paul The Deacon, History of The Langobards, pp.296-297,310, The letters of Saint Boniface, p.8, Mckilliam, A chronicle of The =

نجحت جهود شارل مارتل فتم عقد اتفاقية بين البابوية واللومبارديين لكنها لم تدم طويلًا، مما جعل البابا يرسل سفارة أخرى إلى شارل مارتل عام ٧٣٩م يطلب منه المساعدة ، كما أرسل له مفاتيح قبر القديس بطرس وعرض منحه لقب بطريق الرومان الذي يخوله سلطة الدفاع عن كنيسة الرومان، فاستقبل شارل مارتل السفارة بحفاوة، وأبدى رغبته في قبول ما عرض عليه، وحملها بالهدايا الثمينة(١)؛ لكنه مرض بعد ذلك بقليل وتوفي في أكتوبر عام ٧٤١م كما توفي البابا جريجوري الثالث في نفس العام(٢).

اعتلى البابا زكريا عقب وفاة البابا جريجوري الثالث وحاول أن يدخل في مفاوضات مع ليتوبراند ملك اللومبارديين الذي وعده أن يسلمه المدن التي استولى عليها، وتراجع عن حصار مدينة روما، ومات بعدها

=

Popes, p. 128, Perry, The Franks, pp.275-276, Oman, The Dark Ages, p.297, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.84.

(1)The Chronicle of Fredegar, 22, p.96, Mckilliam, A chronicle of The Popes, p. 128, Perry, The Franks, pp.276-277, Oman, The Dark Ages, p.297-298, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.86-88.

(2)The Chronicle of Fredegar, 23,24, p.97, Annales Regni Francorum, Annales Laurissenses Maiores et Einhardi, ed. Pertzii, Hannoverae, 1895, pp.2-4, Einhardi, Vita Karolimagni, Monumenta Gernurniae Historica Recudei Fecit, ed., Pertzii G., Hannoverae, 1845. ch. II, pp.3-4, Mckilliam, A chronicle of The Popes, p. 129, The Cambridge Medieval History, II, p.130.

بقليل عام ٧٤٤م [١].

قام شارل مارتل قبل وفاته بتقسيم أملاكه بين ابنيه كارلومان وبيبن القصير فتقاسما حكم مملكة الفرنجة بينهما، وواصلا سياسة أبيهما بتقوية العلاقات مع البابوية فعملا على اصلاح كنيسة الفرنجة وأوكلا هذا الأمر إلى ببونيفاس، الذي عقد المجامع الكنسية تحت سلطتهما، ثم تنازل كارلومان عن الحكم عام ٧٤٧م، ربما بتأثير من بونيفاس وذهب إلى روما فاستقبله البابا زكريا، وارتدى كارلومان مسوح الرهبان ودخل حياة الرهبنة، واستقر في دير القديس بندكت في مونت كاسينو Monte Cassino في إيطاليا حيث قضى بقية حياته هناك [٢].

انفرد بيبن القصير بالسلطة بعد تنازل كارلومان فعمل على دعم الكنيسة الرومانية وقام بتشجيع مشروعات بونيفاس التنصيرية كما استخدم نفوذه لردع رجال الدين واصلاح الكنيسة مما لحق بها من مفاسد، كما منح الكنائس والأديرة الأراضي لتعويض ما فقدته الكنيسة

(1) Calmette, J., Charlemagne Sa vie et Son Oeuver, Paris, 1945, p.18.

محمود الحويري، اللومبارديون في التاريخ والحضارة، صـ١٢٨.

(2)The Chronicle of Fredegar, 30, pp.100-101, Annales Regni Francorum, Annales Laurissenses Maiores et Einhardi, pp.6-7, Einhardi, Vita Karolimagni, ch. II, pp.3-4, Carolingian Chronicles, Royal Frankish Annals and Nithard, s Histories, ed., Scholz B., with Rogers B., University of Michigan Press, 2000, p.38, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.112, Mckilliam, A chronicle of Popes, p.132, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp.76-77.

على يد أبيه شارل مارتل[١]، وعلى الرغم من أن بيبن احتفظ بما له من حقوق السيادة على الكنيسة الفرنجية إلا أنه أقر بفرض النظام البندكتي على الأديرة الفرنجية وتعيين أسقف لكل مدينة ورئيس أساقفة لكل أسقفية على أن يمتد سلطان البابوية على الجميع , وكان كثيرًا ما يستشير البابا في القضايا المختلفة، ومن ثم بدأت العلاقات بين السلطتين الدينية والسياسية في غرب أوربا تتوثق أكثر فأكثر[٢].

لذلك عندما قرر بيبن القصير رئيس البلاط في مملكة الفرنجة الاستيلاء على التاج من ملوك الفرنجة الميروفنجيين، لأنه يملك السلطة الحقيقية في المملكة ولا ينقصه سوى التاج الملكي الذي يملكه ملوك الفرنجة الضعفاء الذين لا يتمتعون بأي سلطة فعلية، ولم يعد لهم صلاحية للحكم، كان لابد له أن يستند إلى سلطة عليا تجيز له اتخاذ هذه الخطوة، وذلك لأن الأغلبية العظمى من المعاصرين كانوا ينظرون إلى الملوك على أنهم السلطة الشرعية المقدسة [٣].

أدرك بيبن القصير أنه لابد من الحصول على موافقة البابوية حتى يتمكن من خلع الملك واعتلاء العرش بدلًا عنه ، لذلك أرسل سفارة إلى البابا زكريا عام ٧٥١م يسأله في هذا الأمر، أليس من الأفضل أن من

(1) The Cambridge Medieval History, II, p.698, Calmette, Charlemagne, pp.23-24.

(2) The Cambridge Medieval History, II, p.698.

سانت موس، ميلاد العصور الوسطى، صـ٣١٧-٣١٨، سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ج١، ص١٨٢.

(3) Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp.77-79.

يملك السلطة يملك التاج ؟ ولأن البابا كان في حاجة شديدة لمساعدة الفرنجة ضد اللومبارديين؛ لذلك جاء رده مرضيًا لطموحات بيبن القصير فقال : "من الأفضل أن يكون ملكًا من يملك السلطة الفعلية"(١).

حصل بيبن القصير بذلك على موافقة من البابا زكريا على اعتلائه عرش الفرنجة؛ لذلك استدعى بيبن القصير المجلس العام للفرنجة في أكتوبر أو نوفمبر عام ٧٥١م في مدينة سواسون Soissons وفيه خلع الملك تشلدريك الثالث Childeric III (٧٤٣-٧٥١م)، وأعلن نفسه ملكًا منتخبًا بارادة الله وموافقة البابا، وقام القديس بونيفاس بمسحه بالزيت المقدس نيابة عن البابا، وجرى رفعه على الدروع وفقًا للعادة والطقوس الفرنجية، وأصبحت ذريته على حد قول البابا: سلالة مقدسة وكهنة ملكيين (٢).

(1) Thatcher, A Source Book for Medieval History, pp37-38, Rosamond McKitterick, The Illusion of Royal Power in the Carolingian Annals: The English Historical Review, Feb. 2000, Vol. 115, No. 460 (Feb. 2000), Published by: Oxford University Press, pp. 1- 20, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.112-113.

(2) Annales Regni Francorum, Annales Laurissenses Maiores et Einhardi, pp.9-10, In November, 751. Annales Regni Francorum: in Scriptores Rerum Germanicarum), ed., Pertz, Kurze, Hannoverae,1895, pp. 8, 10, Annales Laurissenses Minores " Lesser Annals of Lorsch", MGH., SS., Vol.1, p.116, Einhardi, Vita Karolimagni, ch.1, Paul The Deacon, History of The Longobardds, p.113, Regesta Chronologico-Diplomatica Karolorum, ed. Bohmer, J., Frankfurt, 1833, p.1, Mckilliam, A Chronicle of The Popes, p133, The Cambridge Medieval History, vol. II, p.131.

أدى الاعتراف بشرعية حكم بيبن إلى التحالف بين الملكية الفرنجية والبابوية، بعد أن أصبح ملكًا على مملكة الفرنجة، بموافقة الكنيسة الرومانية وانتهت بذلك السلالة الميروفنجية الحاكمة وبدأ حكم الأسرة الكارولنجية التي كان أسلافها رؤساء بلاط المملكة، لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ الفرنجة باعتلاء ملوك السلالة الكارولنجية العرش والتحالف بينهم وبين البابوية الذي تأكد في العام التالي عندما رحل البابا ستيفن الثاني إلى مملكة الفرنجة وقام بتتويج بيبن القصير ملكًا على الفرنجة بيده وبارك ولديه شارلمان وكارلمان، وتلى ذلك أن خلع عليهم جميعًا لقب بطريق الرومان، وهدد بإنزال اللعنة على كل من تسول له نفسه الوقوف في وجه ملوك الفرنجة [١].

كما منح بيبن القصير البابوية ما يعرف في التاريخ باسم "هبة بيبن" وهي المدن والأقاليم الإيطالية بعد أن تعهد بتخليصها من يد اللومبارديين وإعادتها للبابوية، وبذلك أصبح بيبن هو المسؤول عن حماية روما والبابوية واستعادة ممتلكاتها من اللومبارديين، فخاض الحروب العسكرية وقاد عدة حملات من بلاده ضد اللومبارديين في إيطاليا لصالح البابوية[٢].

(1)The Cambridge Medieval History, II, p699, Kleinclausz A., Charlemagne, Paris, 1934, p.2, Oman, The Dark Ages, pp.328-329, Rosamond McKitterick, The Illusion of Royal Power in the Carolingian Annal, pp.1-20.

(2)The Chronicle of Fredegar,ch.36-39, pp.104-109, Annales Regni Francorum a. 755,756, Calemette, pp.27-29, Christie N., The =

ليس من هدف هذه الدراسة التعرض بالتفصيل للتحالف بين البابوية والفرنجة ونتائجه السياسية، لكن التركيز على دور بونيفاس في ذلك، والذي اتضح جليًا من خلال دوره السابق في كل مرحلة من مراحل عمله بين القبائل الألمانية شرق الراين، فقد كان بونيفاس ناجحًا إلى حد كبير في تقوية العلاقات بين البابوية ومملكة الفرنجة، والعمل على خلق رابطة التبجيل والولاء والتبعية من الفرنجة للبابوية، وبالتدريج أصبح بونيفاس حجر الزاوية في التطورارات الأساسية للعلاقات بين الطرفين عن طريق الزيارات الثلاث التي قام بها إلى روما في أعوام ٧١٩م، ٧٢٢م، ٧٣٨م ، والتقارير والرسائل المتبادلة بينه وبين البابوية، كما أن منصبه كمندوب عن البابا خوله صلاحيات كثيرة في مملكة الفرنجة؛ فعقد سلسلة من المجامع الكنسية فيما بين ٧٤٢-٧٤٧م، وقاد حركة إصلاح للكنسية الفرنجية تحت سلطة رؤساء البلاط، بالإضافة إلى المشروعات التنصيرية التي قام بها بين القبائل الألمانية التي كانت بتأثير البابوية لرغبتها في نشر المسيحية، واستجابة من الفرنجة لرغبتها في اخضاع القبائل الألمانية على حدودها لسلطتها السياسية، وتوج هذا التقارب بين الطرفين بتأسيس الملكية الكارولنجية التي كانت إلى حد كبير نتيجة لأعمال بونيفاس الدينية بين القبائل الألمانية، ونتج عن ذلك التحالف السياسي بين ملوك الفرنجة والبابوية الذي كان له أثر كبير في

=

Lombards the ancient Longobards, Cambridge University, 1995, p.105.

تاريخ أوربا العصور الوسطى .

وفاة بونيفاس عام ٧٥٥م:

بالرغم من الإنجازات الكثيرة التي حققها بونيفاس إلا أنه مازال يفكر في مشروع حياته، الذي لم يكتمل بعد وهو تنصير قبائل الفريزيان، وكما رأينا فإن بونيفاس قد قام بالبعثة التنصيرية إلى بلاد الفريزيان قبل ذلك مرتين ، وبالرغم من الجهود التي بذلت والإنجازات التي تمت هناك إلا أنه من خلال ما ذكره ويليبولد ورسائل بونيفاس نستشف أن أجزاء كبيرة من أراضي الفريزيان" ما زالت بدون ثمار" [١]، وبالرغم من خضوع مناطق واسعة من أراضيهم إلى الفرنجة؛ إلا أن منطقة وسط وشرق فريزيا كانت مستقلة سياسيًا ولاتزال على الوثنية، وهذا يشير ضمنيًا أنه كانت هناك حدودًا معروفة بين أراضي الفريزيان المسيحية وأراضي الفريزيان الوثنية [٢].

لذلك أراد بونيفاس أن يعود لبلاد الفريزيان وأخبر البابا بأنه يريد أن يترك منصبه الكنسي ويعود لمهمته كمنصر وواعظ؛ وطلب منه أن يعين غيره على أسقفية مينز، فمنحه البابا صلاحية اختيار وريثًا له، فاختار لولوسLullus وهو رجل إنجليزي كان في السابق راهب مالميسبوري

(1)Willibald,The Life of Saint Boniface, ch. VIII, pp.78-79.
(2) Liudger, Vita Gregorii, chapter 5, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part V,2.

Malmesbury ليكون رئيسًا لأساقفة مينز وذلك في عام ٧٥٤م[١].

منح بيبن القصير ملك الفرنجة الموافقة على طلب بونيفاس بالاستقالة من أسقفية مينز وتعيين لولوس مكانه، وصدق البابا ستيفن الثاني على هذا الأمر؛ بناء على طلب بونيفاس لكى يواصل عمله في الوعظ والتنصير بين تلك القبائل الوثنية وتنظيم الكنيسة وتأسيس أبروشيات جديدة [٢].

قبل أن يترك بونيفاس منصبه كرئيس أساقفة مينز إلى وريثه لولوس Lulus الذي كان رفيقه في العمل ومن رجال الدين المخلصين، وضع له خطة مستقبلية للوعظ والتنصير بين الناس لتعليمهم دينهم وكلفه بإكمال بناء الكنائس والأديرة التي شرع في بنائها في أنحاء ألمانيا المختلفة ومنها دير فولدا، كما أخبره بأنه يتوقع نهايته وموته قريبًا وحثه على أن يقوم بدفن جثمانه في دير فولدا[٣].

(1)Willibald,The Life of Saint Boniface, ch. VIII, p.78-79, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.82, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part V, 1, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.118, Bonifatii Epistulae, letter 93, Clay, in The Shadow of Death Saint Boniface, p.352, James, The Medieval Missionary, pp.95-96.

(2)Willibald,The Life of Saint Boniface, ch. VIII, pp.78-79, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.82, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.82, Tangl, Epistolae 93, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part V, 1.

(3)Willibald,The Life of Saint Boniface, ch. VIII, pp.78-79, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.120-121, Tangl, Epistolae 93.

رحل بونيفاس عام ٧٥٤م للمرة الثالثة مع أتباعه للوعظ والتنصير وايصال المسيحية شمالًا إلى أراضي الفريزيان، فأبحر على سفينة من نهر الراين حتى وصل إلى مستنقعات بلاد فريزيا، ثم اخترق بونيفاس وأتباعه بعمق أراضي الفريزيان الوثنية، حتى وصل شمال شرق فريزلاند، وهناك انضم إلى الأسقف إيوبان Eoban وريث ويليبرورد، وقام بونيفاس بعمله في التنصير والوعظ ، واستطاع أن يحول عددًا من الفريزيان، وحدد يومًا معينًا لاستقبال المتحولين الجدد لتعليمهم الطقوس الدينية في العراء في سهول دوكوم Dockum قرب ضفاف نهر بوردن Bordne لذلك أقام خيمته هناك، وانتظر وصولهم بالدعاء والصلاة [١].

بينما ينتظر بونيفاس وصول المتحولين الجدد، وجد بدلاً منهم فرقة كبيرة من الفريزيان المسلحين قد أسرعوا إلى الخيمة ملوحين بالسيوف متعطشين للدماء، واتجهوا نحو الخيمة بغرض السلب والنهب، فخرج بونيفاس من خيمته بعد أن سمع ضجيج أصواتهم، والبعثة المسيحية تلتف حوله للدفاع عنه، لكنه وقف ونهاهم عن مقابلة الشر بمثله، وكان نتيجة ذلك أن زاد غضب الوثنيين فانقضوا عليهم جميعًا وقتلوهم بكل عنف؛ فلقي بونيفاس حتفه ونهايته في الخامس من يونيه عام ٧٥٥م مع

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. VIII, p.80-83, Eigil, Vita Sancti Stumi Primi Abbatis Fuldensis, in Sidera Germaniae, pp. 5-24, in Monumenta Gernurniae Historica, Scriptores, vol. ii, pp. 366-77, Talbot, The Anglo-Saxon Missionaries in Germany, pp.192-193. Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.122-124.

أكثر من خمسين من أتباعه، كان منهم أساقفة وكهنة وشماسة ورهبان وغيرهم [١].

شاهدت إمراة عجوز هذه الواقعة وأخبرت بها وذكرت أن بونيفاس قتل وهو يحمل ثلاث كتب في يده تلطخت بدمائه، حاول استخدام كتاب الإنجيل للتصدي لضربات السيف الذي اعتبره سلاحه ضد عنف الوثنيين[٢]، وقد عثر معه على كتاب الإنجيل وقد استقبل به ضربات السيوف، بالإضافة إلى كتاب شرائع العهد الجديد، وكتاب آخر يحتوي على رسائل ومواعظ القدسين السابقيين، وحفظت هذه الكتب بعد وفاته في دير فولدا[٣].

انتشرت أخبار مقتل بونيفاس بسرعة؛ فثار المسيحيون في هذه

(1) Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. VIII, p.80-91, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp.83-84, Arnold, Boniface in Wild Germany, p. 5, Thompson, History of The Middle Ages, p.113, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.124-126.

هناك من المؤرخين من يذكر أن تاريخ وفاة بونيفاس هو ٧٥٤م وليس كما ذكر ويليبولد أنه ٧٥٥م، واستند إلى عدة أدلة، عن ذلك بالتفصيل أنظر:

Michael Tangl, Zeitschrift des Vereins fur hessische Geschichte und Landeskunde, Neue Folge, xxvii (Cassel, 1903), p. 243 ff.

Robinson, Willibald, The Life of Saint Boniface, Notes pp.89-91.

(2)Vita Altera Bonifatii' in Vitae sancti Bonifatii archiepiscopi Moguntini, MGH, SRG Vol. 57, ed. W. Levison, Hanover: Hahn Verlag, 1905, Chapters 13-17.

(3)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. VIII, pp.80-85, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, pp.83-84, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.126-127.

المناطق، وتجمعوا للثار من جيرانهم الوثنيين الذين حاولوا الهرب، إلا أن المسيحيين تمكنوا منهم وقتلوا أعدادًا كبيرة واستولوا على أمتعتهم وغنائمهم(١).

تنافست ثلاث مراكز مسيحية على نيل شرف احتواء جثمان بونيفاس وهي أوترخت القاعدة التي حاول منها تنصير الفريزيان وقتل بالقرب منها، ومينز التي كان بونيفاس رئيس أساقفتها، ودير فولدا الذي كان موضع اهتمامه؛ لذلك حمل جثمانه أولًا إلى أوترخت ومن هناك إلي مينز واستقر أخيرًا في دير فولدا حيث أودع من قبل القديس لولوس الذي أعلن أن بونيفاس وصى في حياته أن يدفن فيه، ونال بونيفاس بذلك رتبة الشهداء القديسين واشتهر بلقب القديس بونيفاس حواري ألمانيا، وأصبحت رفاته هناك من أشهر ما يميز دير فولدا ومزارًا للحجاج المسيحيين(٢).

انتهت بذلك حياة القديس بونيفاس نهاية مأسوية ومؤسفة في بلاد الفريزيان، بعد ثلاث رحلات قام بها لتلك البلاد حاول فيها تخليصهم من الوثنية ومنحهم حياة جديدة، وبالرغم من الصعوبات التي واجهها إلا أن حماسه وإخلاصه كانا يقودانه دائمًا للاستمرار حتى لو عرض حياته

(1)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. VIII, pp.80-85, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.126-127, Butler, The Lives of the Fathers, vol.VI, p.84, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part V,3.

(2)Willibald, The Life of Saint Boniface, ch. VIII, pp.87-90, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, p.84, Hinne, Boniface and the Frisian Land Revisited, Part 1, Williamson, The Life and Times of St. Boniface, pp.129-132.

للخطر، وذلك لتحقيق هدفه الذي يؤمن به، لكن من المؤسف أن مقتله مع فرقة كبيرة من أتباعه المنصرين حال دون تحقيق ذلك الهدف في بلاد الفريزيان.

بالرغم من أن رواية ويليبولد تذكر الأحداث السابقة، وتذكر أن الهجوم على معسكر المنصرين كان بدافع السرقة والسلب والنهب، إلا أنه يمكن أن نشك في تلك الأسباب، ونرجح أن الهجوم كان مخططًا له من قبل مجموعة من الفريزيان الوثنيين؛ للنيل من بونيفاس وأتباعه، الذين هدموا أضرحتهم المقدسة، وبنوا على أنقاضها كنائسهم المسيحية، فأغاروا بذلك على عقيدتهم الدينية، وتزامن ذلك مع الغزو العسكري عليهم من قبل جيوش الفرنجة، فكان من الصعب أن يفصل الفريزيان بين أعمال المنصرين لتخليصهم من ضلال الوثنية وبين سيوف الفرنجة التي تحاول اغتصاب أراضيهم واستقلالهم، ورأوا أن التحول للمسيحية يعني بالنسبة لهم التحول إلى دين العدو، وفقد استقلالهم السياسي وحريتهم الدينية، بالإضافة إلى تهديد هويتهم وثقافتهم، وتجمعت تلك الأسباب جميعًا لتؤدي في النهاية إلى هذا الموقف العنيف تجاه بونيفاس وأتباعه المنصرين الذي انتهى بقتلهم جميعًا.

بذلك انتهت حياة القديس بونيفاس الذي كما وصفه ويليبولد " كان نموذجًا لأولئك الذين يملكون حياة نقية وشخصية مستقيمة " [١].

(1) Willibald, The Life of Saint Boniface, p.24.

أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

- بدأت البعثات التنصيرية الأنجلو ساكسونية إلى غرب أوربا في العقد الأخير من القرن السابع الميلادي، وبدأ المنصرون عملهم بين قبائل الفريزيان الوثنيين في الأراضي المنخفضة التي كانت الموطن الأصلى لمعظم القبائل الإنجليزية بدعم وحماية رؤساء البلاط في مملكة الفرنجة.
- قام بونيفاس بالعمل كمنصر لعدة سنوات بين قبائل الفريزيان ثم قرر ترك فريزيا للعمل بين القبائل الألمانية التي تعيش داخل مملكة الفرنجة.
- أدرك بونيفاس أن نجاح مهمته التنصيرية لا يمكن أن تتم بدون دعم وحماية السلطتين الدينية والسياسية ، لذلك حصل على تأييد ودعم البابوية ورؤساء البلاط في مملكة الفرنجة الذين كانوا يملكون السلطة الفعلية .
- كان هدف بونيفاس نشر المسيحية بين القبائل الألمانية بينما حرص رؤساء البلاط على تقوية سلطتهم السياسية على القبائل الألمانية على حدود مملكتهم، التي كانت تقوم بالتمرد والثورة على سلطة الفرنجة عن طريق تنصيرهم ودمجهم في الشعوب المسيحية .
- بالسماح لبونيفاس بالعمل في أراضي الفرنجة فتح الطريق لدخول النفوذ البابوي إلى مملكة الفرنجة.

- قام بونيفاس بثلاث زيارات إلى روما تلقى في الأولى تكليفًا بابويًا بتحويل القبائل الألمانية إلى المسيحية، وفي زيارته الثانية رسم بونيفاس أسقفًا، وتمثلت نتيجة مقابلته الأخيرة مع البابا في تعينه مندوبًا بابويًا لألمانيا وتكليفه بمهمة تنظيم الكنيسة الألمانية وتأسيس الكنائس الجديدة .

- قام بونيفاس بتنظيم وإصلاح الكنيسة الألمانية عن طريق عقد المجامع الكنسية التي عمل على انعقادها سنويًا بعد أن كانت متوقفة من حوالي ثمانين عامًا، وناقش فيها القضايا المختلفة وتعرض فيها لفساد رجال الدين والبدع والهرطقة ، وعمل على اتخاذ قرارات حاسمة لإصلاح المفاسد الكثيرة والأخطاء التي انتشرت بينهم.

- واجه بونيفاس مقاومة شديدة من رجال الدين الفرنجة لأن سياسته الإصلاحية تعارضت مع مصالحهم فاستغلوا نفوذهم وعلاقتهم بالبلاط الفرنجي ورفضوا الرضوخ لأحكام بونيفاس القضائية مما جعله يعاني صعوبات كثيرة .

- قام بونيفاس بتأسيس الكنائس والأديرة التي جعلها تخضع للنظام البندكتي وكان لها أثر كبير لاحقًا في نهضة غرب أوربا.

- اتضحت جهود الكنيسة الإنجليزية في نشر المسيحية في أوربا القارية فعملت على تسخير مواردها البشرية والمادية وقدمت الدعم لبونيفاس الذي كان على إتصال دائم بها وبأصدقائه في

إنجلترا يطلب الدعاء والنصيحة ويحرص على تقوية العلاقات بين المنصرين الأنجلو ساكسون وبين موطنهم الأصلي.

- كان بونيفاس ناجحًا إلى حد كبير في تقوية العلاقة بين البابوية ومملكة الفرنجة، والعمل على خلق رابطة التبجيل والولاء والتبعية من الفرنجة للبابوية، وبالتدريج أصبح بونيفاس حجر الزاوية في التطورارات الأساسية للعلاقة بين الطرفين التي توجت باعتلاء رؤساء البلاط العرش الفرنجي وتأسيس الملكية الكارولنجية بمباركة البابوية.

- كان من الصعب أن يفصل الوثنيون بين أعمال المنصرين لتخليصهم من ضلال الوثنية وبين سيوف الفرنجة التي تحاول اغتصاب أراضيهم واستقلالهم، ورأوا أن التحول للمسيحية يعني بالنسبة لهم التحول إلى دين العدو، وفقد استقلالهم السياسي وحريتهم الدينية، لذلك قاوموا بشدة الجهود التنصيرية واتضح ذلك جليًا في النهاية المأساوية التي تعرض له بونيفاس وأتباعه المنصرين الذين قتلوا بسيوف الفريزيان الوثنيين.

**الملاحق :**

نصب تذكاري للقديس بونيفاس في فولدا في ألمانيا

نحته ورنر هنشيل Werner Henschelعام ١٨٣٠.

صورة للقديس بونيفاس من عمل كورنيليس بلومارت Cornelis Bloemaert (١٦٠٣-١٦٨٤م).

المصدر: أرشيف أوترخت The Utrecht Archives .

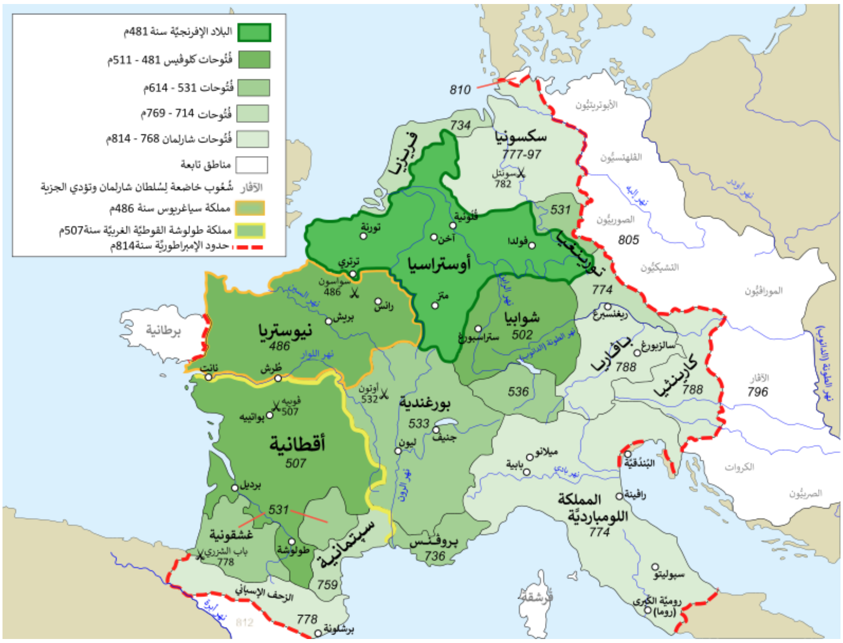


خريطة امبراطورية الفرنجة من عام ٤٨١ – ٨١٤ م

توضح مناطق عمل القديس بونيفاس.

https://commons.wikimedia.org/wiki/File:Frankish_Empire_481_to_814-ar.svg

## قائمة المصادر والمراجع

**أولاً: المصادر العربية :**

ابن خلدون:(عبد الرحمن بن محمد) ت.٨٠٨هـ / ١٤٠٦م، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج٤، بيروت، ١٩٥٩م.

ابن عذاري المراكشي:( أبو عبدالله أحمد بن محمد )، المتوفي نحو٦٩٥هـ/١٢٩٥م، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، تحقيق ومراجعة كولان ج، وليفي بروفنسال، باريس، ١٩٤٨م.

المقري:( شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني) ت.١٠٤١هـ/١٦٣١م، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ج٣، بيروت، ١٩٦٣م.

**ثانيًا: المصادر الأجنبية The Original Sources :**

- Alcuin, Vita Willibrordi; The Life of St. Willibrord, Chapter 13 :in Thomas F.X. Noble and Thomas Head, Soldiers of Christ: Saint and Saints' Lives from Late Antiquity and the Early Middle Ages, (University Park, PA: Pennsylvania State University Press, 1995).
- Annales Mettenses, 689, Monumenta Germaniae Historica, Scriptores 1 (MGH SS1), ed. Pertzii G., Hannoverae, 1826.
- Annales Regni Francorum, Annales Laurissenses Maiores et Einhardi, ed. Pertzii, Hannoverae, 1895.
- Annales Regni Francorum: in Scriptores Rerum Germanicarum, ed., Pertz, K., Hannoverae,1895
- Carolingian Chronicles, Royal Frankish Annals and Nithard's Histories, ed., Scholz B., with Rogers B., University of Michigan Press, 2000.

- The Chronicle of Fredegar, The Fourth Book with Continuations, Translated from Latin by Wallace – Hadrill J., M., London Edinburg Paris Melbourne Toranto and New York, 1960.
- Eigil, Vita Sancti Stumi Primi Abbatis Fuldensis, in Sidera Germaniae (Mainz, 1616), in Monumenta Gernurniae Historica, Scriptores, vol. ii, ed., Krusch, B., Hannover, 1888.
- Einhardi, Vita Karolimagni, Monumenta Gernurniae Historica Recudei Fecit, ed., Pertzii G., Hannoverae, 1845.
- Emille de Bonnechose, The History of France, London, 1839.
- The Letters of Saint Boniface, Trans. Ephriam E., New York, Clumbia University Press, 1940.
- Levison W., Vitae Sancti Bonifatii Archiepisopi Moguntini, Hannoverae et Lipsiae, 1905.
- Liber Historiae Francorum 46, Monumenta Germaniae Historica, Scriptores Rerum Merovingicarum (MGH., SS., rer Merov.) II, ed. Krusch B., Hannover, 1888.
- Liudger, Vita Gregorii, ed., Holder-Egger, MGH, SS 15, Hanover, 1887.
- Paul the Deacon, History of The Langobards, Trans. Foulke W., University of Pennsylvania, Philadphia, 1907.
- Regesta Chronologico-Diplomatica Karolorum, ed. Bohmer, J., Frankfurt, 1833.
- Talbot, C. H., ed. The Anglo-Saxon Missionaries in Germany: Being the Lives of S.S. Willibrord, Boniface, Strum, Leoba and Lebuin, together with the Hodoeporicon of St. Willibald and a Selection from the Correspondence of St. Boniface, New York: Sheed and Ward, 1954.

- Tangl M. Die Brief des Heiligen Bonifatius und Lullus, MGH., Epistolae,1, Berlin, 1916.
- Tangl M, Zeitschrift des Vereins fur hessische Geschichte und Landeskunde, Neue Folge, xxvii, Cassel, 1903.
- Thatcher O., A Source Book for Medieval History, New York, Chicago and Boston.1905.
- The Venerable Bede, Bede's Ecclesiastical History of England, Translation with Introduction, by Sellar A. M., London, 1907.
- Vita Altera Bonifatii' in Vitae sancti Bonifatii archiepiscopi Moguntini, MGH, SRG Vol. 57, ed. W. Levison, Hanover: Hahn Verlag, 1905.
- Willibald, The Life of Saint Boniface, Translated into English for the First Time, with Introduction and Notes by Robinson W.G., Cambridge Harvard University Press, 1916.

**ثالثاً: المراجع الأجنبية The Foreign References:**

- Arnold N., Boniface in Wild Germany: The Mentalties and Theology of Missionary-Saint, Atheis Presented to the Faculty of California State University, Fullerton, 2015.
- Brown, P., The Rise of Western Christendom: Triumph and Diversity, A.D. 200-1000, 2nd. ed. (Blackwell Publishing, 2003).
- Butler, A., The Lives of the Fathers, Martyrs and other Principal Saints, vol.VI, London, 1866.
- Calmette, J., Charlemagne Sa vie et Son Oeuver, Paris, 1945.
- The Cambridge Medieval History, vol. II, Cambridge, 1936.
- Campbell, James the Anglo-Saxons, London: Penguin Books. 1991.

- Clay J.H., in The Shadow of Death Saint Boniface and the Conversion of Hessia 721-54, in Cultural Encounters in Late Antiquity and the Middle Ages, Vol.II, British Library, 2010.
- Deanesly, M., A History of the Middle Church 590-1500, London,1959.
- Don Fanning, The Dark Ages Church Period of Barbarian invasion of Global Missions, 3, 2009, Liberty University.
- Guizot F.,The History of Civilization: From the Fall of the Roman Empire to the French Revolution,.,Vol.III, New York, 1850.
- Hallam H., View of The State of Europe during The Middle Ages, vol.1, London, 1826.
- Henderson E., History of Germany in The Middle Ages, London, 1894.
- Jarnut J., Bonifatius und die frankischen Reformkonzilien (743–748), Zeitschrift der Savigny-Stiftung für Rechtsgeschichte,109, Kanonistische Abteilung, 66 (1979).
- Jaschke K.-U., 'Die Gründung der mitteldeutschen Bistümer und das Jahr des Concilium Germanicum', in Festschrift für Walter Schlesinger, ed. by H. Beumann, 2 vols (Cologne: Bohlau, 1973–74).
- Kirby, D., Earliest English Kings, London: Routledge, 1992.
- Kleinclausz A., Charlemagne, Paris, 1934.
- Leopold von Ranke, History of The Popes, Translated by Fowler E., vol.1, New York, 1901.
- Mayr-Harting, H., The Coming of Christianity to Anglo-Saxon England, 3d, ed., Pennsylvania: Pennsylvania State University Press, 1991.
- Mckilliam, A chronicle of The Popes, Londen, 1912.

- Munro D., Sontag R., The Middle Ages 395-1500, NewYork & London, 1928.
- Neii c., The Lombards the Ancient Longobards, Cambridge, 1995.
- Oman Ch., The Dark Ages, London,1908.
- Perry W., The Franks from Their First Appearance in History to The Death of King Pepin, London, 1857.
- Sime J, History of Germany, London, 1874.
- Stenton F., Anglo-Saxon England, 3rd Edition, Oxford University Press, 1971.
- Strauss G., Moslem and Frank, vol.1, Londen, 1854.
- Taylor B., Germany, vol. xviii, Chicago, 1910.
- Thompson J., History of The Middle Ages 300-1500, London, 1931.
- Vasiliev A., History of The Byzantine Empire, Madison, 1952.
- Williamson J., The Life and Times of St. Boniface, London, 1904.
- Wood, I.N., The Missionary Life: Saints and the Evangelisation of Europe 400-1050 (Harlow: Longman/ Pearson Education, 2001.
- Wood, I.N., The Merovingian Kingdoms 450-751, Harlow: Longman/Pearson Education, 1994.

**رابعا المراجع العربية والمعربة :**

دوسن، تكوين أوربا، صـ٢٦١ ، ترجمة محمد زيادة وسعيد عاشور، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٦٧م.

ديفـز، أوربـا فـي العصـور الوسـطى، ترجمـة عبدالحميـد محمـود، منشـأة المعارف، ١٩١١م.

سـانت مـوس ، مـيلاد العصـور الوسـطى، ترجمـة عبـدالعزيز جاويـد، الهيئـة

العامة للكتاب, القاهرة، ١٩٩٨م.

سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ج١، التاريخ السياسي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٧٥م.

سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ج٢، النظم والحضارة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١م.

السيد الباز العريني، أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية لبنان، ١٩٦٨م.

كانتور، العصور الوسطى الباكرة ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٣م.

محمود الحويري، اللومبارديون في التاريخ والحضارة، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦م .

نظير سعداوي، تاريخ انجلتر وحضارتها، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٨م.

وفاء مختار غزالي، السياسة الخارجية لدولة الفرنجة في العصور الوسطى، دار الآفاق، القاهرة، ٢٠١٣م.

ول ديورانت، قصة الحضارة، ج٢٢، الإصلاح الديني، ج١، مج ٦، ترجمة عبدالحميد، دار الجيل، بيروت ، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، ١٩٨٨م.

**خامسًا البحوث المنشورة في الدوريات الأجنبية والعربية:**

- Flechner R., St Boniface as Historian: a continental perspective on the organization of the early Anglo-

Saxon church: Anglo-Saxon England, Vol. 41 (2013), Cambridge University Press.
- Halbertsma, H., Frieslands Oudheid: Het Rijk van Friese Koningen, Opkomst en Ondergang, Utrecht: Uitgeverij Matrijs, 2000.
- Hinne W., Boniface and the Frisian Land Revisited in it Beaken: Tydskrift fan de Fryske Akademy (Jiergong 68, 2006, numer 3l4 Outline of a Precarious Historical Relationship.
- James A., The Medieval Missionary: A Study of the Conversion of Northern Europe A.D.500- 1300, New York&London, 1936.
- James P., Saxon or European? Interpreting and Reintepreting St. Boniface, History Compass 4/5, Blackwell Publishing, 2006.
- Kylie E. J., The Condition of the German Provinces as Illustrating the Methods of St. Boniface: The Journal of Theological Studies, October 1905, Vol. 7, No. 25 (October, 1905), Oxford University Press.
- Laux J., Two Early Medieval Heretics: An Episode in the Life of St. Boniface: The Catholic Historical Review, July, 1935, Vol. 21, No. 2 (July, 1935).
- Meeder S., Boniface and the Irish Heresy of Clemens: Church History, Vol. 80, No. 2 June 2011, Cambridge University Press on behalf of the American Society of Church History.
- Miriam J., Chosen Missionary People, Willibrord, Boniface and the Election of the Angli, Medieval Worlds, No.3, 2006, Austrian Academy of Sciences Press.
- Rosamond Mckitterick, The Illusion of Royal Power in the Carolingian Annals: The English Historical Review, Vol. 115, No. 460 (Feb., 2000), Oxford University Press.

- Squire A., St. Boniface, Apostle of Germany, Life of the Spirit (1946-1964), Vol. 9, No. 97, The Mission of the Word (July1954), Wiley.

وفاء مختار غزالي، رؤساء البلاط في مملكة الفرنجة الميروفنجيين من عام ٦٣٨-٧٥١م، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ٨٠، ج١، يناير ٢٠٢٠م .